أصول توجيه القراءات عند الحيري في تفسيره

أ.د. سعد بن مبارك الدوسري (*)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فقد أنعم الله ﷻ على المسلمين بنعم عظيمة لا تُعدّ ولا تُحصى، وإن من أعظم هذه النعم وأجلّها قدرًا نعمة القرآن الكريم، وقد قيض الله لهذا الكتاب ثلة من العلماء الربانيين الذين أفنوا أعمارهم في سبيل القرآن الكريم، وكان ممن هداهم الله لخدمة كتابه العزيز وفهم معانيه وبيان أسراره واستخراج أحكامه، الإمام الحيري صاحب كتاب الكفاية في التفسير، وكان من العلوم التي أبرزها الحيري في تفسيره: علم القراءات عرضًا وبيانًا واحتجاجًا وتوجيهًا، ولما لعلم التوجيه من أهمية، ولما للحيري من مكانة علمية وتميز في علم القراءات؛ اخترت الكتابة في هذا الموضوع، ووسمته بـ: (أصول توجيه القراءات عند الحيري في تفسيره).

أسباب اختيار البحث وأهميته:

١. الأهمية البالغة لعلم توجيه القراءات، فهو وجه من وجوه الدفاع عن القراءات، وإسهام في بيان أوجه الاحتجاج والتوجيه لقراءات القرآن.

(*) الأستاذ بقسم القرآن وعلومه– كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة القصيم.
البريد الإلكتروني: sdosry@qu.edu.sa

٢. عناية الحيري وتميزه في توجيه القراءات في تفسيره، وتنوّع أصول توجيه القراءات عنده.

٣. إبراز القيمة العلمية للقراءات عند الحيري في تفسيره، كونه مشتملًا على عدد كبير من القراءات وتوجيهها.

٤. جِدَّة البحث في هذا الموضوع، حيث لم أطّلع على دراسة أُفردت لهذا الموضوع.

أهداف البحث:

١. بيان طريقة الحيري في عرض القراءات.

٢. إبراز أصول توجيه القراءات عند الحيري في تفسيره.

٣. الكشف عن منهج الحيري في توجيه القراءات.

٤. إثراء المكتبة القرآنية بمثل هذه الموضوعات الوصفية التي تُبرز أثر العلماء وطريقتهم في التعامل مع كتاب الله.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقصاء في قواعد المعلومات والكشافات البحثية والمكتبات لم أقف على من تناول موضوع توجيه القراءات عند الحيري في تفسيره بالبحث والدراسة، بل الدراسات عمومًا حيال الحيري محدودة جدًّا؛ لكون تفسيره (الكفاية) لم يطبع إلا متأخرًا عام ١٤٤٠هـ من خلال مركز تفسير للدراسات القرآنية، وأصل الكتاب حُقّق في أربع رسائل علمية لنيل درجة الدكتوراه بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية، للباحثين: د. علي بن غازي التويجري، ود. عبد الله بن عواض المطيري، ود. عبد الله بن سوقان الزهراني، ود. صالح بن يوسف كاتب، ولم يتطرق الباحثون إلى أصول توجيه القراءات عند الحيري عند حديثهم عن

منهجه في التفسير، وإنما كان حديثهم في صفحتين فقط (ص٧٨–٨٠) عن بعض معالم منهجه العام في عرض القراءات.

منهج البحث:

سأتبع في هذا البحث المناهج الآتية:

١. **المنهج الاستقرائي:** فطبيعة البحث تستلزم استقراء تفسير الحيري، والوقوف على مواضع توجيه القراءات عنده.

٢. **المنهج التحليلي:** وذلك من خلال تحليل مواضع توجيه القراءات بعد استقرائها وتصنيفها، من أجل الوقوف على أصول توجيه القراءات عند الحيري وبيان منهجه فيها.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

* **المقدمة:** اشتملت على: أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد؛ وفيه:

أولًا: ترجمة موجزة للحيري.

ثانيًا: التعريف بتوجيه القراءات.

ثالثًا: منهج الحيري في عرض القراءات بإيجاز.

* **المبحث الأول: الأصول النقلية في توجيه القراءات عند الحيري؛** وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التوجيه بالقرآن الكريم.

المطلب الثاني: التوجيه بالقراءات.

المطلب الثالث: التوجيه بالرسم العثماني.

المطلب الرابع: التوجيه بالسنة النبوية.

المطلب الخامس: التوجيه بالآثار.

* **المبحث الثاني: الأصول اللغوية في توجيه القراءات عند الحيري**؛ وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: التوجيه النحوي.

المطلب الثاني: التوجيه الصرفي.

المطلب الثالث: التوجيه الاشتقاقي.

المطلب الرابع: التوجيه بالمعنى اللغوي.

المطلب الخامس: التوجيه بلغات العرب.

المطلب السادس: التوجيه البلاغي.

* **المبحث الثالث: الأصول الأخرى في توجيه القراءات عند الحيري**؛ وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التوجيه بالسياق القرآني.

المطلب الثاني: التوجيه الفقهي.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

ثم ثبت المصادر والمراجع.

التمهيد

أولًا: ترجمة موجزة للحيري:

اسمه وكنيته ونسبه: أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الحيري النيسابوري الضرير [١].

مولده ونشأته: وُلد الحيري في رجب سنة إحدى وستين وثلاثمائة على الصحيح [٢]. ونشأ بالحيرة بنيسابور، ورحل في طلب العلم إلى إسفرايين، وسرخس، وبغداد [٣].

شيوخه: تلقى العلم عن عدد كبير من المشايخ؛ منهم:

١. أحمد بن محمد بن جعفر بن نوح بن بحير النيسابوري البحيري، الشيخ الإمام، سمع ابن خزيمة وأبا العباس السراج، وسمع منه الحاكم ومات في محرم سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة [٤].

٢. الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب النيسابوري، العلامة المفسر الواعظ، له تفسير مشهور، نقل منه المؤلف كثيرًا، كان إمام عصره في معاني القرآن وعلومه، مات في ذي الحجة سنة ست وأربعمائة [٥].

---

(١) انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (٦/٣١٣-٣١٤)، معجم الأدباء، ياقوت الحموي (٦/١٢٨-١٢٩)، سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٧/٥٣٩)، طبقات المفسرين، السيوطي (ص٣٠).

(٢) انظر: المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، عبد الغافر بن إسماعيل (ص١٢٩)، الوافي بالوفيات، الصفدي (٩/ ٨٤)، طبقات الشافعي الكبرى، السبكي (٤/٢٩٩).

(٣) انظر: المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، عبد الغافر بن إسماعيل (ص١٢٩)، طبقات المفسرين، السيوطي (ص٣٥)، طبقات المفسرين، الداودي (١/١٠٦)، ترجمة المؤلف في مقدمة تحقيق الكفاية في التفسير (١/٢٠).

(٤) انظر: الأنساب، السمعاني (١/٢٩١)، سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٦/٣٦٦).

(٥) انظر: المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور (ص١٧٩)، سير أعلام النبلاء (١٧/٢٣٧)، طبقات المفسرين، الداودي (١/١٤٤).

٣. سهل بن محمد بن سليمان بن محمد العجلي الصعلوكي النيسابوري، شيخ الشافعية بخراسان، حدّث عنه الحاكم والبيهقي، مات في رجب سنة أربع وأربعمائة [١].

تلاميذه: له تلاميذ كُثُر؛ من أبرزهم:

١. أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي المعروف بالخطيب البغدادي، الإمام، الحافظ، صاحب التصانيف، سمع من الحيري صحيح البخاري في ثلاثة مجالس حتى أصبح ذلك مضرب المثل في أقصر مدة قرئ فيها البخاري، مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة[٢].

٢. أحمد بن محمد بن أحمد محمد بن زنجويه الإمام الفقيه المعمر، كتب بنيسابور تفسير الكفاية عن الحيري، توفي قريبًا من سنة خمسمائة [٣].

٣. مسعود بن ناصر بن أبي زيد السجزي، الحافظ الرّحّال، كان حافظًا متقنًا، مات بنيسابور في جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وأربعمائة [٤].

مكانته العلمية: عرف العلماء مكانة الحيري العلمية، وأثنوا عليه الثناء اللائق به، ووصفوه بالعلامة، المفسر، المقرئ، الواعظ، الفقيه، المحدث [٥].

قال تلميذه الخطيب البغدادي: " كتبنا عنه، ونعم الشيخ، كان فضلًا وعلمًا ومعرفةً وفهمًا وأمانةً وصدقًا وديانةً وخلقًا"[٦].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٧/١٧)، طبقات الشافعية، السبكي (٢٩٣/٣)، غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري (٢٨٨/١).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٧٠/١٨)، وفيات الأعيان، ابن خلكان (٩٢/١).
(٣) انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي (٨٢٣/١٠)، طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة (٢٦٨/١).
(٤) انظر: المنتخب من تاريخ نيسابور (ص٤٣٤)، سير أعلام النبلاء (٢٣٦/١٩).
(٥) انظر: تاريخ بغداد (٣١٤/٦)، سير أعلام النبلاء (٥٣٩/١٧)، البداية والنهاية، ابن كثير (٥١/١٢).
(٦) تاريخ بغداد (٣١٤/٦).

مؤلفاته: له مؤلفات متعددة في فنون شتى؛ منها:

١. الكفاية في التفسير. وهو الكتاب الذي أستقي منه مادة هذا البحث.

٢. وجوه القرآن: وهو في الوجوه والنظائر، حيث يذكر الكلمة وأوجه ورودها في القرآن، وهو مطبوع.

٣. أسماء من نزل فيهم القرآن [١].

٤. معاني أسماء الرب سبحانه وتعالى [٢].

وفاته: مات بنيسابور حوالي سنة ثلاثين وأربعمائة[٣].

ثانيًا: تعريف توجيه القراءات:

توجيه القراءات هو بيان علة القراءة ووجهها لغة وتفسيرًا [٤]، ويعد من ألصق علوم القراءات بالتفسير، إذ يعتمد عليه بشكل كبير، ومن هنا رأينا العناية التامة من أهل العلم بهذا الفن.

يقول الزركشي مبيناً أهمية هذا العلم: "معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ فن جليل، وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها، وقد اعتنى الأئمة به، وأفردوا فيه كتباً "[٥].

وقد أطلق العلماء الذين صنفوا في توجيه القراءات عدة إطلاقات لهذا الفن، ولعل أول استعمال لتلك الإطلاقات هو استعمال "وجوه" ، حيث صنف هارون بن موسى الأعور (ت نحو ١٧٠هـ) كتاباً في "وجوه القراءات"، ثم أُطلِق على هذا

(١) اعتمده السيوطي ضمن مراجعه في الإتقان (١/ ٣٥).
(٢) ذكره الحيري في كتابه وجوه القرآن (ص٥٢).
(٣) انظر: تاريخ بغداد (٣١٤/٦)، سير أعلام النبلاء (٥٤٠/١٧). وانظر: ترجمة المؤلف في مقدمة تحقيق كتاب الكفاية في التفسير (١٣/١-٥١).
(٤) انظر: معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات، د. إبراهيم الدوسري (ص ٤٦)، معجم مصطلحات علوم القرآن، د. محمد الشايع (ص ١٠٩).
(٥) البرهان في علوم القرآن (٣٣٩/١).

العلم بعد ذلك "الاحتجاج" ، ككتاب المبرد (ت ٢٨٥هـ) "احتجاج القُرَّاء" ، ثم أطلق بعد ذلك "العلل" ككتاب هارون بن موسى الأخفش (ت ٢٩٢هـ) "قراءة ابن عامر بالعلل" ، ثم أطلق "الحجة" كـ"الحجة في القراءات السبع" لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، و"الحجة للقُرّاء السبعة" لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، و"حجة القراءات" لابن زنجلة (ت ٤٠٣هـ).

وهذه الإطلاقات استعمالات متقاربة، وألفاظ مترادفة، تؤدي المعنى نفسه، ولهذا جمع مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) هذه الإطلاقات في تسمية كتابه "الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها".

ولعل أشهر الإطلاقات وأكثرها استعمالاً وتداولاً قديماً وحديثاً: "التوجيه"، و"الاحتجاج"، إلا أن الأوْلى التعبير بـ "التوجيه"؛ لئلا يُتوهم أن ثبوت القراءة متوقف على صحة الاحتجاج بها [١].

وتوجيه القراءات تعليل اختيار لا دليل صحة للقراءة المتواترة؛ لأن القراءات المتواترة ليست بحاجة لإثبات صحتها، فقد أجمعت الأمة على صحتها، والقراءة إذا صحت فهي حاكمة على اللغة وليس العكس.

وأما القراءات الشاذة فالهدف من توجيهها، بيان أن لها أصلًا في اللغة أو في القرآن أو في السنة، فالتوجيه إثراء للقراءات وبيان لأصلها ومعناها [٢].

(١) انظر: معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات، د.إبراهيم الدوسري (ص٤٦)، توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيراً وإعراباً، د.عبدالعزيز الحربي (ص٦٧).

(٢) انظر: منهج الطبري في القراءات، د. عبد الرحمن الجمل (ص١٤٤).

ثالثًا: منهج الحيري في عرض القراءات بإيجاز:

من المزايا الظاهرة في تفسير الحيري عنايته الفائقة بإيراد القراءات وتوجيهها، ويمكن تلخيص معالم منهجه في عرض القراءات في تفسيره من خلال الآتي [١]:

أولًا: يذكر القراءات المتواترة والشاذة، وأحيانًا يقتصر على إيراد القراءات المتواترة.

ثانيًا: فاته شيء كثير من القراءات المتواترة في سورة البقرة، وفي عدد من السور [٢].

ثالثًا: لم يلتزم طريقة محددة في نسبة القراءات إلى أصحابها؛ فأحيانًا يذكر القراءات منسوبة، وأحيانًا غير منسوبة، وأحيانًا أخرى يقول: "قراءة العامة"، وتارة أخرى يقول: "قرئ"، وتارة يذكر روايات الرواة عن أئمة القراءة، وأحيانًا يكتفي بذكر القراءات منسوبة للصحابة والتابعين مع ثبوتها لأصحاب القراءات العشر.

رابعًا: وهم الحيري في نسبة بعض القراءات المتواترة لغير أصحابها، ونسبة بعض القراءات الشاذة لأئمة القراءات المتواترة [٣].

خامسًا: أحيانًا لا يذكر القراءات في موضعها من السورة، ويذكرها في موضع آخر لغرض يريده[٤].

سادسًا: في بعض المواضع يكتفي الحيري بإيراد جزء من القراءات، ولا يستوعب بقية القراءات الواردة في الموضع المختلف فيه [٥].

---

(١) سأعرض عن ذكر الأمثلة طلبًا للاختصار، واكتفاء بما يرد في البحث من أمثلة، إلا ما كان ضروريًّا ذكره مما لم يرد في البحث.

(٢) انظر: الكفاية في التفسير (٣٥٢/٤-٣٥٤)، (٤١/٧-٤٣).

(٣) انظر: الكفاية في التفسير (٦٤١/١)، (٥٥/٦).

(٤) انظر: الكفاية في التفسير (٥٤٨/٩).

(٥) انظر: الكفاية في التفسير (٥٤٩/٩).

سابعًا: وقع الحيري –رحمه الله– فيما وقع فيه بعض المفسرين وأهل اللغة من رد بعض القراءات المتواترة أو ترجيح بعضها على بعض [١]. ولعل ذلك يعود إلى عدم استقرار أمر القراءات في وقته.

ثامنًا: اهتم كثيرًا في تفسيره بتوجيه القراءات، وأجاد في هذا الجانب، واعتمد على موارد كثيرة في التوجيه ما بين القرآن والقراءات والرسم والسنة والأثر والسياق والنحو والصرف والاشتقاق ولغات العرب والشعر.

تاسعًا: تميّز توجيهه للقراءات بالاختصار، إلا في بعض المواطن؛ فقد أطال النفس في التوجيه سواء للقراءات المتواترة أو الشاذة [٢].

عاشرًا: برز في توجيه القراءات عند الحيري اهتمامُه البالغ بالتوجيه اللغوي لغةً ونحوًا وصرفًا.

حادي عشر: ألفاظ التوجيه الصريحة قليلة الدوران والاستعمال عند الحيري، ومما وقفت عليه:

"احتج"[٣]، و"حجته"[٤]، وأما بقية مواضع التوجيه فهو يذكر القراءات، ثم التوجيه دون ذكر أي من المصطلحات المرادفة للتوجيه، فتارة يذكر القراءة ثم يقول: "على ..."، ذاكرًا التعليل وخاصة في وجوه الإعراب، وتارة يقول: "من ..."، ويذكر التوجيه، وهذا في المعاني، وتارة يأتي بـ "لأن"، الدالة على التعليل، وأحيانًا يقول: "نظيره"، وأحيانًا أخرى يقول: "واستدلوا"[٥].

ثاني عشر: أحيانًا كان يكتفي بإيراد القراءات دون توجيه لها[٦].

---

(١) انظر: الكفاية في التفسير (٤٩٥/١)، (٤٨/٧).
(٢) مثل سور النور والفرقان والشعراء والنمل والقصص والعنكبوت، وتفسير جزء الذاريات، وأغلب جزء المجادلة.
(٣) انظر: الكفاية في التفسير (٢٣/١).
(٤) انظر: الكفاية في التفسير (٢٥٠/٤).
(٥) انظر: الكفاية في التفسير (٥٣٩/٢) ، (١٩٥/٤).
(٦) انظر: الكفاية في التفسير (١١٤/٤)، (٢٢/٨).

المبحث الأول

الأصول النقلية في توجيه القراءات عند الحيري

المطلب الأول: التوجيه بالقرآن الكريم:

يعد القرآن الكريم الأصل الأول من أصول الاحتجاج للقراءات، لأن أولى ما توجّه به القراءات هو القرآن نفسه، ولهذا اهتم الحيري رحمه الله في تفسيره بهذا الأصل، واعتمد عليه كثيرًا في توجيه القراءات القرآنية، ويمكن إبراز منهج الحيري في توجيه القراءات بالقرآن من خلال الآتي:

أولًا: التوجيه بالنظائر اللفظية: حيث يذكر القراءات، ثم يذكر توجيهها عن طريق النظائر اللفظية من القرآن الكريم.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] حيث قال الحيري: "قرئ بالوجهين: بالألف وغير الألف(١)؛ فمن قرأ بغير ألف احتج بقوله تعالى: ﴿ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾ [الحشر: ٢٣]، ومن قرأ بالألف احتج بقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾ [آل عمران: ٢٦]"(٢).

ففي هذا المثال وجّه الحيري قراءة (مالك) بنظيرها اللفظي في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾ [آل عمران: ٢٦] ، واحتج لقراءة (ملك) بنظيرها اللفظي في قوله: ﴿ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾ [الحشر: ٢٣].

---

(١) قرأ عاصم والكسائي بالألف، والباقون بغير ألف. انظر: كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد (ص١٠٤).

(٢) الكفاية في التفسير (٢٣/١). وانظر: حجة القراءات، ابن زنجلة (ص٧٧)، الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب (٢٥/١).

ومن الأمثلة: قوله تعالى: ﴿عَيۡنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦] حيث قال: "وقرأ عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمرو بن العاص وأبو العاص والحسن في (عينٍ حامِيَةٍ)، يعني: في عين حارة، نظيره: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ١١]"(١). وهذه القراءة التي ذكرها الحيري قرأ بها ابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي وأبو جعفر(٢)، ونلحظ أن الحيري وجّه القراءة بنظيرها اللفظي من القرآن في قوله: ﴿نَارٌحَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ١١].

ثانيًا: التوجيه بالنظائر المعنوية: حيث يذكر الحيري القراءات، ثم يذكر توجيهها عن طريق ملاحظة المعنى في النظير القرآني، مع اختلاف الألفاظ، واتحاد القصة أو الأحوال، وهذا من براعة الحيري في هذا الجانب.

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥١] حيث قال: "ومن قرأ ﴿مُخۡلَصًا﴾(٣) أي: أخلصناه لنا، يعني: اخترناه لنا، نظيره: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه: ٤١]"(٤).

وقد يذكر القراءة، ويبيّن معناها، ثم يأتي بالنظير القرآني على هذا المعنى.

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ﴾[فاطر: ٨]، حيث قال الحيري: "وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع: (فلا تُذهِب نفسك عليهم حسرات)، ومعناه: أي لا تغتم بكفرهم وهلاكهم إذا لم يؤمنوا، نظيره ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾

(١) الكفاية في التفسير (٤/٢٥٠).
(٢) انظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه (ص٢٣٠)، النشر، ابن الجزري (٢/٣١٤).
(٣) قرأ حمزة والكسائي وعاصم وخلف بفتح اللام، وكسرها الباقون. انظر: المبسوط، ابن مهران (ص ٢٨٩).
(٤) الكفاية في التفسير (٤/٢٨٦).

[الكهف: ٦]"[١]. فقد ذكر الحيري معنى الآية على قراءة أبي جعفر، ثم ذكر نظيرها من سورة الكهف.

ثالثًا: الاكتفاء بالإشارة إلى وجود النظير في القرآن، دون بيانه: الغالب في توجيه الحيري للقراءات بالقرآن، أن يقوم فيها ببيان الآيات المناظرة، إلا أنه أحيانًا يكتفي بالإشارة إلى وجود النظائر في القرآن، دون بيان لهذه النظائر، ولعل ذلك يرجع إلى كثرة هذه النظائر القرآنية في مقام توجيه القراءات للآية الواحدة.

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ﴾ [الأنعام: ٦٤] حيث قال الحيري: "وقرئ ﴿يُنَجِّيكُم ﴾ [الأنعام: ٦٤] بالتخفيف والتشديد[٢]، وهما لغتان، وبهما جاء القرآن"[٣].

فالحيري –رحمه الله– أراد أن يبيّن أن قراءة التشديد من «نجّا ينجّي»، وقراءة التخفيف من «أنجى يُنْجِي»، ثم ذكر أن القرآن وردت فيه اللغتان، دون بيان منه لهذه النظائر؛ لكثرتها، ومن ذلك في التشديد ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ ﴾ [يونس: ٧٣]، وفي التخفيف ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [العنكبوت: ٢٤]، وقوله: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم ﴾ [الأعراف: ١٤١][٤].

رابعًا: توجيه القراءة بأكثر من نظير: الغالب في توجيهات الحيري للقراءات القرآنية بالقرآن، أنه يكتفي بذكر نظير واحد؛ طلبًا للاختصار، إلا أنه في مواضع ذكر أكثر من نظير قرآني في التوجيه.

---

(١) الكفاية في التفسير (٢٨٨/٦). وانظر: النشر، ابن الجزري (٣٥١/٢).

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن ذكوان ويعقوب (يُنجِيكم) بالتخفيف، وقرأ الباقون (يُنَجِّيكم) بالتشديد، انظر: المصباح الزاهر، الشهرزوري (٢٩٧/٣).

(٣) الكفاية في التفسير (٢٤٣/٢). وانظر: الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي (٣٢١/٣).

(٤) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب (٤٣٦/١).

ومن أمثلته:

عند قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾ [المائدة: ٤٥] حيث قال: "قرأ الكسائي: ﴿ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ [المائدة: ٤٥] بالنصب، ورفع (والعينُ بالعين) إلى آخر الآية... فالنفس نصب اسم (أن)، و(العينُ) رفع على الابتداء، وما بعده معطوف عليه، وخبره في قوله: ﴿ قِصَاصٌ ﴾[المائدة: ٤٥]، ولهذه القراءة أربعة نظائر في القرآن.

أحدها: ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] فنصب ﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾ باسم (إنَّ)، ثم قال: ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ ﴾، ورفع (العاقبة) على الابتداء، وخبره في قوله: ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾. والثاني: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [التوبة: ٣]، فنصب ﴿ ٱللَّهَ ﴾ باسم (أنَّ)، ثم رفع ﴿ وَرَسُولُهُۥ ﴾. والثالث: في سورة لقمان: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ ﴾ [لقمان: ٢٧]، (ما) في موضع نصب باسم (أنَّ)، ثم قال: ﴿ وَٱلْبَحْرُ ﴾ رفع على الابتداء. والرابع: في الجاثية: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ ﴾ [الجاثية: ٣٢]، فنصب الوعد باسم (إنَّ)، ثم رفع (الساعة) على الابتداء"[(١)].

خامسًا: بيان النظير القرآني للقراءة من الناحية الصرفية:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، حيث قال: "ومن قرأ: ﴿ وَقَرْنَ ﴾ بفتح القاف[(٢)]، فإنه أراد (اقررن)، فحُذفت عين الفعل،

(١) الكفاية في التفسير (٧١/٢)، وانظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني (٢٣٤/٢).

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم بفتح القاف، وقرأ الباقون بالكسر. انظر: معاني القراءات، الأزهري (٢٨٢/٢)، نكات القرآن، أبو محمد المقرئ (٨٢٧/٢).

وحُوِّلت حركتها إلى القاف فانفتحت، وأُسقطت عنه ألف الوصل من أوله، فبقي: قَرْنَ، وهو كقوله تعالى: ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٥]، ﴿ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾[طه: ٩٧]، والأصل: ظللتم، وظللت"(١).

فالحيري ذكر توجيه قراءة الفتح ﴿ وَقَرْنَ ﴾، وما حدث فيها من تغيرات صرفية من حذف وتحويل وإسقاط، ثم ذكر نظيرها من القرآن.

سادسًا: بيان النظير القرآني للقراءة من الناحية الإعرابية:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾ [لقمان: ١٦]، حيث قال: "وقد قرئ ﴿ مِثْقَالَ حَبَّةٍ ﴾ رفعًا ونصبًا(٢)...، ومن رفع كان معنى ﴿ تَكُ ﴾ معنى وقوع، نظيره: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] أي: وقع"(٣).

فالحيري وجّه قراءة الرفع بأن (كان) تامة، ثم ذكر نظيرًا للرفع من سورة البقرة.

سابعًا: توجيه القراءات الشاذة بالنظائر القرآنية:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢]، حيث قال: "وقرأ الحسن: (وتَقَطَّعوا أرحامكم) مفتوحة الحروف، اعتبارًا بقوله: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ [المؤمنون: ٥٣]"(٤).

المطلب الثاني: التوجيه بالقراءات:

من أهم الأسس التي يعتمد عليها المفسرون وأهل التوجيه في توجيه القراءات: التوجيه بالقراءات النظيرة، والحيري –رحمه الله– كان له باع في توجيه القراءات بالقراءات، وتنوع استعماله لهذا الأصل، ويتجلى منهجه في هذا الأصل فيما يأتي:

---

(١) الكفاية في التفسير (١٨٠/٦). وانظر: معاني القرآن، الفراء (١٩٠/٢).

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. انظر: النشر، ابن الجزري (٣٢٤/٢).

(٣) الكفاية في التفسير (٩٧/٦). وانظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب (١٨٨/٢).

(٤) الكفاية في التفسير (٨٠/٨)، وانظر: إعراب القراءات الشواذ، العكبري (٢٤٤/٢)

أولًا: توجيه القراءة المتواترة بأخرى متواترة:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾ [لقمان: ١٦]، حيث قال: "وقد قرىء ﴿ مِثْقَالَ حَبَّةٍ ﴾ رفعًا ونصبًا[١]، فمن نصب أضمر فيها: أنها إن تك الحبة مثقال حبة، ومن رفع كان معنى ﴿ تَكُ ﴾ معنى وقوع، نظيره: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] أي: وقع، وقوله: (وإن تك حسنةٌ يضاعفها) [النساء: ٤٠]"[٢]. فالحيري وجّه قراءة الرفع بأن (كان) تامة، ثم ذكر توجيهًا لها من قراءة متواترة وهي قوله تعالى: (وإن تك حسنةٌ)، برفع (حسنةٌ) على قراءة نافع وابن كثير وأبي جعفر[٣].

ثانيًا: توجيه القراءة المتواترة بعدة قراءات متواترة:

الغالب في توجيهات الحيري للقراءات القرآنية بالقراءات، أنه يكتفي بذكر نظير واحد؛ إلا أنه في مواضع ذكر أكثر من قراءة متواترة في التوجيه بها، ولا يكتفي بذلك، بل يقوم بتوجيه هذه القراءات التي استشهد بها.

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ [سبأ: ٥]، حيث قال: "وقرأ طلحة وعيسى ويعقوب: ﴿ أَلِيمٌ ﴾ رفع، رده إلى العذاب، والباقون خفض للإتباع[٤]، وكذلك في الجاثية، وهذا كقوله: ﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج: ٢٢] من خفض[٥] كان نعتًا للوح، ومن رفع كان نعتًا

(١) قرأ نافع وأبو جعفر بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. انظر: النشر، ابن الجزري (٣٢٤/٢).
(٢) الكفاية في التفسير (٩٧/٦). وانظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب (١٨٨/٢).
(٣) انظر: المبسوط في القراءات العشر، ابن مهران (ص١٧٩).
(٤) قرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالضم فيچ ځچ وقرأ الباقون بالخفض. انظر: كتاب السبعة، ابن مجاهد (ص٥٢٦).
(٥) قرأ نافع بالرفع، والباقون بالخفض. انظر: إعراب القراءات السبع، ابن خالويه (٤٥٨/٢).

للقرآن[١]، ومثله: ﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴾ [البروج: ١٥] رفعًا وخفضًا[٢]، من خفض رده إلى العرش، ومن رفع رده إلى ﴿ ذُو ﴾ وهو الله تبارك وتعالى[٣]"[٤].

ثالثًا: توجيه القراءة المتواترة بقراءة شاذة:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، حيث قال: "ومن قرأ بالنصب[٥] ففيه قولان:

أحدهما: أن موضعها نصب بوقوع ﴿ يُشۡعِرُكُمۡ ﴾ عليه.

والثاني: نصب على أن معناه: ﴿ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ ﴾ لعلها إذا جاءت لا يؤمنون، والدليل عليه قراءة أبي ابن كعب: (وما يشعركم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون) [٦]" [٧]. فالحيري –رحمه الله– وجّه قراءة النصب في (أنها) في أحد التوجيهين بقراءة أبي بن كعب ﷺ.

رابعًا: توجيه القراءة الشاذة بقراءة متواترة:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ ﴾ [المائدة: ٤٥]، حيث قال: "قرىء في الشواذ: (أنْ النفسُ بالنفس والعينُ

(١) انظر: الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي (٣٩٦/٦).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع. انظر: المبسوط، ابن مهران (ص٤٦٦).

(٣) انظر: معاني القراءات، الأزهري (١٣٦/٣).

(٤) الكفاية في التفسير (٢٣٩/٦).

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة ويعقوب وخلف بكسر الألف في (إنها)، وقرأ الباقون بنصبها. انظر: النشر، ابن الجزري (٢٦١/٢).

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات، الكرماني (ص ١٧٦).

(٧) الكفاية في التفسير (٢٩٩/٢).

بالعين) [١] كلها بالرفع إلى آخر الآية، وبتخفيف (أنْ)، فعلى هذه القراءة: (النفسُ) رفع على أنه اسم (أَنْ) بالتخفيف، كقوله: (ولكنِ الشياطينُ) [البقرة:١٠٢]، رفع (الشياطين) من خفف (ولكن)، ومن شدد ﴿ وَلَٰكِنَّ ﴾ [البقرة: ١٠٢] نصب ﴿ ٱلشَّيَٰطِينَ ﴾[٢]،

وكذلك: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ ﴾ [يونس: ٤٤][٣] "[٤].

فالحيري وجّه قراءة التخفيف والرفع في قوله: (أنْ النفسُ بالنفس والعينُ بالعين) بقراءة التخفيف والرفع في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وكذلك بقراءة التخفيف والرفع في قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ ﴾ [يونس: ٤٤].

المطلب الثالث: التوجيه بالرسم العثماني

المقصود بالرسم العثماني هو الوضع الذي ارتضاه عثمان بن عفان ﷺ، ومن كان معه من الصحابة في كتابة القرآن ورسم حروفه، والذي وُجد في المصاحف التي وجّه بها إلى الآفاق والأمصار، والمصحف الإمام الذي احتفظ به لنفسه[٥]، على أن رسم المصحف هو طريقة كتابة كلمات القرآن في المصحف من حيث

(١) وهي قراءة شاذة، قرأ بها أبو حيوة، انظر: المغني في القراءات، محمد بن أبي نصر النوزاوازي (٧١٦/٢).

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: (ولكنِ الشياطينُ) بتخفيف النون ورفع الشياطين، وقرأ الباقون بالتشديد والنصب. انظر: حجة القراءات، ابن زنجلة (ص١٠٨).

(٣) قرأ حمزة والكسائي وخلف (ولكنِ الناسُ) بتخفيف النون وكسرها وصلا للساكنين ورفع الناس، وقرأ الباقون (ولكنَّ الناسَ) بتشديد النون مع فتحها ونصب الناس. انظر: المصباح الزاهر، الشهرزوري (٤١٨/٣).

(٤) الكفاية في التفسير (٧٠/٢).

(٥) الدر النثير والعذب النمير شرح كتاب التيسير، المالقي (ص٥٨).

عدد الحروف ونوعها، لا من حيث شكل الخط وجماليته[١]، وتتضح أهمية رسم المصحف في كونه أحد الشروط الثلاثة لقبول القراءة[٢].

ورسم المصحف أحد الأصول التي اعتمد عليها المفسرون وأهل التوجيه في توجيه القراءات، وكان مقياسًا لهم في قبول القراءة أو ردها. وقد كان للحيري اهتمام بهذا الأصل، ويمكن بيان ذلك من خلال الآتي:

أولًا: توجيه اختلاف القراءات باختلاف رسم المصحف:

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿ لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٣] حيث قال: "وقرىء ﴿ لَّئِنْ أَنجَىٰنَا ﴾[٣] لاختلاف المصاحف، أي: أنجاه الله؛ لأن في مصحف أهل الكوفة بغير تاء، وفي غيره من المصاحف بالتاء"[٤]. فالحيري ذكر أن القراء اختلفوا في قراءة ﴿ لَّئِنْ أَنجَىٰنَا ﴾ باختلاف رسمها في المصاحف العثمانية بين الألف والتاء.

ثانيًا: توجيه اختلاف القراءات بالحذف والزيادة باختلاف رسم المصحف:

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾[الأعراف: ٤٣] حيث قال: "﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ ﴾ قرىء بسقوط الواو وثبوتها[٥]؛ وذلك لاختلاف المصاحف؛ لأن في بعضها بالواو، وفي بعضها بغير الواو"[٦]. فقد وجّه الحيري الحذف والزيادة في القراءتين باختلاف رسم المصاحف بين الإثبات والحذف.

---

(١) أبحاث في العربية الفصحى، د. غانم قدوري الحمد (ص١٣٧).

(٢) انظر: النشر، ابن الجزري (١١/١).

(٣) قرأ عاصم وحمزة والكسائي: بالألف، وقرأ الباقون: (أنجيتنا) بالتاء. انظر: حجة القراءات، ابن زنجلة (ص٢٥٥)، إعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالويه (١٦٠/١).

(٤) الكفاية في التفسير (٢٤٢/٢).

(٥) قرأ ابن عامر بحذف الواو، وقرأ الباقون بإثباتها. انظر: التيسير، الداني (ص١١٠).

(٦) الكفاية في التفسير (٤٢٤/٢).

ثالثًا: ترجيح قراءة بناء على رسم المصحف:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡ ﴾[التوبة: ١٠٣]، حيث قال: "﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ ﴾ قرىء بالجمع والوحدان[١]، فالوحدان ينبىء عن الجنس، أي: يقوم مقام الجمع، والجمع على الخط، وهي أصح وأولى؛ لأنها كُتبت في المصاحف بالجمع"[٢]. فالحيري ذكر القراءات في كلمة ﴿ صَلَوٰتَكَ ﴾ ثم رجّح قراءة الجمع لكتابتها في المصاحف بالجمع.

رابعًا: بيان رسم المصحف العثماني في مقابل رسم مصاحف الصحابة:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ [طه: ٦٣]، حيث قال: "وفي مصحف عبدالله: (وأسروا النجوى أنْ هذان ساحران) بنصب الألف، وبغير لام[٣]. وفي مصحف أبي: (ما هذان إلا ساحران) [٤].

وفي بعض المصاحف: (إنْ هذان إلا ساحران) [٥]. فأما خط المصحف: (فإنّ) بتشديد النون، (هذان) بالألف"[٦]. فالحيري ذكر رسم قوله: ﴿ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ في مصحف ابن مسعود وأبي بن كعب –رضي الله عنهما–، وبعض المصاحف الأخرى، ثم ذكر رسم الجملة في المصحف العثماني.

---

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف (صلاتك) بالإفراد، وقرأ الباقون (صلواتك) بالجمع، انظر: معاني القراءات، الأزهري (٤٦٣/١)، النشر، ابن الجزري (٢٨١/٢).

(٢) الكفاية في التفسير (٢٥٥/٣).

(٣) انظر: شواذ القراءات، الكرماني (ص ٣٠٨).

(٤) انظر قراءة أُبيّ في: نكات القرآن، أبو محمد المقرئ (٦٣٨/١).

(٥) رويت هذه القراءة عن ابن مسعود رضي الله عنه، انظر: المغني في القراءات، النوزاوازي (١٢٣٢/٣).

(٦) الكفاية في التفسير (٣٥٢/٤).

خامسًا: بيان صحة القراءة مع مخالفتها رسم المصحف:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴾ [المدثر: ٣٣] حيث قال: "﴿ وَٱلَّيۡلِ ﴾ وأقسم بالليل أيضًا ﴿ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴾ إذا دبر[١]. قال الفراء: هما لغتان بمعنى واحد: أدبر ودبر يعني: والليل إذا ذهب، وقيل: والقراءة بالألف أصح، ولكن خلاف المصحف، وليس في المصحف ألف"[٢]. فذكر الحيري أن قراءة ﴿أَدۡبَرَ﴾ أصح، ولكنها مخالفة للمصحف؛ إذ ليس في المصحف ألف. وهذا الذي ذكره الحيري لا يطعن في القراءة؛ لأنها رواية صحيحة، ووافقت وجهًا مقبولًا في العربية[٣].

المطلب الرابع: التوجيه بالسنة النبوية

السنة النبوية من الأسس التي اعتمد عليها المفسرون في توجيه القراءات، وكان لهم عناية بالغة بها، وقد كان للحيري –رحمه الله– نصيب من ذلك، لكنّ اعتماده على السنة النبوية في توجيه القراءات كان قليلًا، وقد وقفت له على مواضع محدودة اعتمد فيها على السنة النبوية في توجيه القراءات، وظهر ذلك من خلال الصور الآتية:

أولًا: التوجيه بقراءة النبي ﷺ: وقد ذكر في أربعة مواضع أن النبي ﷺ وردت عنه القراءة المقروء بها. ومما تنبغي الإشارة إليه أن إشارة أهل التوجيه إلى كون النبي ﷺ قرأ بهذه القراءة أو غيرها، ليس من باب إثبات القراءة، فإن القراءات المتواترة قد ثبت قراءة وإقراء النبي ﷺ بها؛ إذ هي قرآن، وإنما يسوق أهل

---

(١) قرأ نافع وحمزة ويعقوب وخلف: (أذ) بغير ألف و(أدبر) بالألف، وقرأ الباقون: (إذا) بالألف (دبر) بغير ألف. انظر: معاني القراءات، الأزهري (٣٠٣/٣)، تحبير التيسير، ابن الجزري (ص ٥٩٧).

(٢) الكفاية في التفسير (٢٠٦/٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦٢/٢٩)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٥٤/١٦).

التوجيه ذلك من باب التوجيه للقراءة، لكن يبقى البحث في نصّهم على قراءة النبي ﷺ في بعض القراءات، ولعل ذلك يرجع إلى كون ذلك مما نُقل عن النبي ﷺ نصًا، وتبقى بقية القراءات المتواترة على عموم النصوص الواردة بقراءة النبي ﷺ بها.

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] حيث قال الحيري: "قرىء بالوجهين: بالألف وغير الألف؛ فمن قرأ بغير ألف احتج بقوله تعالى: ﴿ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾ [الحشر: ٢٣]، ومن قرأ بالألف احتج بقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾ [آل عمران: ٢٦]. وكلا القراءتين مرويتان عن النبي ﷺ"(١).

ومن أمثلته أيضًا: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴾ [يس: ٥٥] حيث قال: "وعن جابر بن عبدالله قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ فِي شُغُلٍ ﴾ بضم الغين(٢)"(٣).

ثانيًا: توجيه معنى القراءة بالسنة النبوية:

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا ﴾ [الروم: ٣٢] حيث قال: "ومن قرأ: ﴿ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ ﴾ بالتشديد(٤)، أي: جعلوا أديانًا،

(١) الكفاية في التفسير (٢٣/١). وانظر: حجة القراءات، ابن زنجلة (ص٧٧–٧٨)، الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب (٢٥/١).
(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (شُغْلٍ) ساكنة الغين، وقرأ الباقون (شُغُلٍ) بضم الغين، انظر: المبسوط، ابن مهران (٣٧١).
(٣) الكفاية في التفسير (٣٦٠/٦).
(٤) قرأ حمزة والكسائي (فارقوا)، وقرأ الباقون: (فرّقوا) بالتشديد من غير ألف. انظر: كتاب السبعة، ابن مجاهد (ص ٢٧٤).

يعني: اليهود والنصارى والمجوس والصابئين، يدل على هذا قول النبي ﷺ: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة) [١]" [٢]. فالحيري وجّه قراءة التشديد، ثم استدل على هذا المعنى بالسنة النبوية.

ثالثًا: توجيه القراءة وردها بالسنة النبوية:

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾[النساء: ١] حيث قال: "وأما من قرأ بكسر الأرحام[٣]، معناه: أسألك بالله وبالرحم أن تعطيني شيئًا. وهو خطأ في أمر الدين؛ لأن النبي ﷺ قال: "لا تحلفوا بآبائكم"[٤]، فالسؤال بالأرحام أمر عظيم"[٥]. فالحيري وجّه قراءة حمزة، ثم ردّها بحديث النهي عن الحلف بالآباء، وهذا فيه نظر؛ فإن القراءة المتواترة لا يجوز ردها، وهذه القراءة ليست من باب القسم، وإنما هي تذكير من الله للعرب بما كانوا يعظّمونه ويتساءلون به، فهم يتساءلون بالله ويتساءلون بالرحم[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب شرح السنة، ح (٤٥٩٦) (ص ١٥٦٠)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب من ترجى له السلامة من الفتن، ح (٣٩٩٢) (ص ٢٧١٦)، وأحمد في مسنده، ح (٨٣٧٧) (٣٣٢/٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ١٠٨٠ (٢٤٥/١).

(٢) الكفاية في التفسير (٧٤/٦).

(٣) وهي قراءة حمزة. انظر: التيسير في القراءات السبع، الداني (ص ٩٣).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، ح (٦٦٤٨) (ص ٥٥٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله، ح (٤٢٥٤) (ص ٩٦٥).

(٥) الكفاية في التفسير (٤٩٥/١).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٥١٨/٧).

المطلب الخامس: التوجيه بالآثار

يعد الاحتجاج بالآثار من الأصول المعتمدة في توجيه القراءات، وقد برز اعتماد الحيري على الآثار في توجيه القراءات في تفسيره، وظهر ذلك من خلال الصور الآتية:

أولًا: توجيه القراءات المتواترة بأقوال الصحابة:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ [الزخرف: ١٩] حيث قال: " قال سعيد بن جبير: كنت أقرأ عند ابن عباس سورة الزخرف، فقرأت: (وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن) [(١)] قال ابن عباس: ﴿ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾. فقلت: وفي مصحف عبدالله: (عند الرحمن). فقال: امحها، واكتبها: ﴿ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾، وذلك أن المشركين سموا الملائكة بنات الله، فكذّبهم الله وردّ عليهم، وقال: هم عباد الرحمن"[(٢)]. فالحيري اعتمد على أثر ابن عباس رضي الله عنهما في توجيه قراءة ﴿ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾.

ثانيًا: توجيه القراءات المتواترة بأقوال التابعين:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾[الأعراف: ١٨٠] حيث قال: "﴿ يُلْحِدُونَ ﴾فيه قراءتان، قرىء بنصب الياء والحاء، وبضم الياء وكسر الحاء[(٣)]. من قرأ بنصب الياء معناه: يجحدون، ومن قرأ بضم الياء وكسر الحاء فيه ستة أقاويل: قال مجاهد: يعني الذين يشتقون أسماء أصنامهم من أسماء الله؛ لأن العزى تأنيث العزيز، واللات تأنيث الله، ومناة تأنيث المنان.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر ويعقوب: (عند الرحمن)، وقرأ الباقون: ﴿ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾. انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب (٢٥٦/٢)، تحبير التيسير، ابن الجزري (ص ٥٤٨).

(٢) الكفاية في التفسير (٢١٩/٧)، وأثر ابن عباس أخرجه الثعلبي في تفسيره (٤٢٠/٢٣).

(٣) قرأ حمزة بفتح الياء والحاء، والباقون بضم الياء وكسر الحاء. انظر: المصباح الزاهر، الشهرزوري (٣٥٨/٣).

قال ابن عباس: يكذبون، وقال زيد بن أسلم: يميلون، قال قتادة: يشركون، قال عطاء: يضاهون، أي يشبهون، قال بعضهم: أن يسمى الله بغير اسم سمى الله به نفسه، ولا سماه نبي"[١].

ثالثًا: توجيه القراءات المتواترة بالإسرائيليات:

وهذا من الأمور العزيزة في توجيه القراءات، ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٖ حَمِئَةٖ ﴾ [الكهف: ٨٦] حيث قال: "كان ابن عباس ذات يوم عند معاوية وعبدالله بن عمرو، فجرى حديث ذي القرنين، فقال معاوية: (وجدها تغرب في عين حامية) [٢]. فقال ابن عباس: ﴿ حَمِئَةٖ ﴾ فقال معاوية لعبدالله بن عمرو: كيف تقرأها؟ قال: كما يقرأه أمير المؤمنين، ثم وجّه معاوية إلى كعب الأحبار فقال: كيف تجد الشمس تغرب؟ قال: في حمأة وطين"[٣]. فالحيري ساق هذا الأثر، وفيه أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه رجع إلى كعب الأحبار في بيان توجيه القراءة.

رابعًا: توجيه القراءات الشاذة بأقوال التابعين:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ ﴾ [الزخرف: ٢٢] حيث قال: "وقرأ مجاهد، ورُوي –أيضًا– عن عمر بن عبد العزيز: (إنا وجدنا آباءنا على إمّة) بكسر الألف[٤]، ثم اختلفوا في معناها: فقال عكرمة: على نعمة. قال مجاهد: على طريقة حسنة. قال أبو العالية: على حالة حسنة"[٥].

**

(١) الكفاية في التفسير (٥٥١/٢).
(٢) سبق عزو القراءة (ص ١١).
(٣) الكفاية في التفسير (٢٥٠/٤).
(٤) انظر: مختصر شواذ القرآن، ابن خالويه (ص١٣٥)، نكات القرآن، أبو محمد المقرئ (٩٤٨/٢).
(٥) الكفاية في التفسير (٢٢٢/٧).

المبحث الثاني

الأصول اللغوية في توجيه القراءات عند الحيري

المطلب الأول: التوجيه النحوي

التوجيه النحوي يهتم بمواقع الكلمات، وتغيّر وظيفتها داخل تراكيبها، ويعد التوجيه النحوي أحد الأصول الأساسية في توجيه القراءات عند المفسرين وأهل التوجيه. وقد اهتم الحيري بهذا الأصل كثيرًا؛ حيث إن أغلب توجيهاته للقراءات كانت مبنية على الجانب النحوي، وقد برع في هذا الجانب واستخدم أساليب متعددة؛ منها:

أولًا: توجيه اختلاف الحركات في آخر الاسم:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾[النساء: ٦٦] حيث قال: "وقرىء ﴿ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ بالرفع والنصب(١)، فالرفع معناه: ما فعلوه، ويفعله قليل منهم على معنى الاستئناف، وبالنصب على معنى أنه خلاف الأول للاستثناء، كقوله: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ [النساء: ٩٨]، وكقوله: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ [الحجر: ٣٠ – ٣١] فإبليس لم يسجد، كان خلافًا للأول، فلهذا نُصب ههنا"(٢). فالحيري وجّه اختلاف الحركات في آخر الاسم ﴿قَلِيلٌ ﴾ بين الرفع والنصب، وذكر وجه الرفع، ووجه النصب.

---

(١) قرأ ابن عامر: (إلا قليلًا) بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. انظر: الكامل في القراءات، الهذلي (ص١١٨).

(٢) الكفاية في التفسير (٥٧٦/١).

ثانيًا: توجيه اختلاف الحركات في آخر الفعل:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٌ ﴾ [المائدة: ٧١] حيث قال: "وقد قرىء ﴿ أَلَّا تَكُونَ ﴾ بالرفع ونصبه[١]، فمن قرأ بالنصب فهو نصب بـ (أن لا)، ومن قرأ بالضم فعلى معنى أنه لا يكون فتنة، فمعناه: حسبوا أن فعلهم غير فاتن لهم"[٢]. فالحيري وجّه اختلاف الحركات في آخر الفعل ﴿ تَكُونَ ﴾ بين الرفع والنصب، وذكر الوجه النحوي في كل قراءة.

ثالثًا: توجيه اختلاف الحركات في الحروف:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الأنعام: ٥٤] حيث قال: "﴿ فَأَنَّهُۥ ﴾ قرىء بنصب الألف وبكسر الألف فيهما[٣]، من قرأ بكسر الألف فيهما فعلى الاستئناف والابتداء، ومن قرأ بالنصب فهو بوقوع الرحمة عليه، أو بوقوع الكناية عليه"[٤]. فالحيري وجّه اختلاف الحركات في (أنه فأنه) بالفتح والكسر، وبيّن الوجه النحوي لكل قراءة.

---

(١) قرأ أبو عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي وخلف (ألا تكونُ) برفع النون، وقرأ الباقون بنصبها. انظر: النشر، ابن الجزري (٢/٢٥٥).

(٢) الكفاية في التفسير (٢/١٠٦).

(٣) قرأ نافع وأبو جعفر بفتح الهمزة في الأولى والكسر في الثانية (أَنَّهُ فإِنَّهُ). وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح فيهما (أَنَّهُ فأَنَّهُ)، والباقون بالكسر فيهما (إِنَّهُ فإِنَّهُ). انظر: المبسوط، ابن مهران (ص١٦٨)، التيسير في القراءات السبع، الداني (ص٣٤٠).

(٤) الكفاية في التفسير (٢/٢٣٠).

رابعًا: توجيه القراءة بالتنوين وتركه:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال: ١٨]؛ حيث قال: "﴿ مُوهِنُ كَيْدِ ﴾ قرىء بالإضافة والتنوين(١). من قرأ بالإضافة فهو يكون للماضي، ومن قرأ بالتنوين فعلى أن (كيدَ) نصْب مفعول ويكون للمستقبل، وكلاهما محتمل، كقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿ مُتِمُّ نُورِهِۦ ﴾ [الصف: ٨]؛ لأن الله قد أهان الكافرين فيما مضى، ويوهنهم فيما يستقبل"(٢). فالحيري وجّه اختلاف القراءات على التنوين وتركه، كما بيّن المعنى على كل قراءة.

خامسًا: توجيه القراءات المتواترة بوجوه متعددة من الإعراب:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٦٤] حيث قال: "قرىء ﴿ مَعْذِرَةً ﴾ بالرفع والنصب(٣). فالرفع على أربعة أوجه: أحدها: هذه معذرةٌ. والثاني: هي معذرةٌ. والثالث: رفع على الحكاية؛ لأن ما بعد القول يكون مرفوعًا. والرابع: رفع على خبر الابتداء المضمر، معناه: قالوا: موعظتنا معذرة.

والنصب على أربعة أوجه: أحدها: نصب على المصدر، معناه: نعتذر اعتذارًا. والثاني: أن المعذرة بمعنى القول، فكأنك تقول: قالوا قولًا. والثالث: نصب

(١) قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو (مُوَهِّنٌ كيدَ) بفتح الواو وتشديد الهاء وتنوين النون ونصب دال كيد، وقرأ حفص (مُوهِنُ كيدِ) بسكون الواو وتخفيف الهاء وحذف التنوين وخفض دال كيد، وقرأ الباقون (مُوهِنٌ كيدَ) بسكون الواو وتخفيف الهاء وتنوين النون ونصب دال كيد، انظر: تحبير التيسير، ابن الجزري (ص ٣٨٤).

(٢) الكفاية في التفسير (٤٧/٣).

(٣) قرأ حفص (معذرةً) بنصب التاء، وقرأ الباقون برفعها. انظر: التبصرة، مكي بن أبي طالب (ص٥١٨)، النشر، ابن الجزري (٢٧٢/٢)

بإضمار فعل واقع عليه، ومعناه: لفظهم معذرة. والرابع: نصب على الظرف، وهو في الأصل (نعتذر) فصُرف من الاستقبال إلى المصدر، كقوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣]، وهو في الأصل: أعوذ بالله، فصُرف من الاستقبال إلى المصدر"[(١)]. ففي هذا المثال ذكر الحيري قراءتين، ثم ذكر توجيه كل قراءة بأربعة أوجه من الإعراب.

سادسًا: توجيه قراءة دون أخرى إعرابًا:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ [المائدة: ١٠٧] حيث قال: "قرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر: (عليهم الأَوَّلِين)، والباقون: ﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾[(٢)]. فمن قرأ ﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ صار رفعًا على البدل مما في ﴿يَقُومَانِ﴾ [المائدة: ١٠٧]، ومجازه: فليقم الأَوْلَيان بالميت مقامهما"[(٣)]. فالحيري اقتصر على توجيه القراءة الثانية من الناحية الإعرابية دون إعراب القراءة الأولى.

سابعًا: توجيه القراءات الشاذة إعرابًا:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ [المائدة: ٤٥]، حيث قال: "قرىء في الشواذ: (أنْ النفسُ بالنفس والعينُ بالعين) كلها بالرفع إلى آخر الآية، وبتخفيف (أن)، فعلى هذه القراءة: (النفسُ) رفع على أنه اسم (أن) بالتخفيف، كقوله: (ولكنِ الشياطينُ) [البقرة:١٠٢]، رفع

(١) الكفاية في التفسير (٢/٥٢٦-٥٢٧).

(٢) قرأ حمزة وخلف وشعبة ويعقوب بتشديد الواو وفتحها وكسر اللام وبعدها ياء ساكنة وفتح النون (الأَوَّلِينَ)، والباقون بإسكان الواو وفتح اللام والياء وألف بعدها وكسر النون ﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾، انظر: المبسوط، ابن مهران (ص١٦٥)، التذكرة، ابن غلبون (٢/٣١٩).

(٣) الكفاية في التفسير (٢/١٤٤).

(الشياطين) من خفف (ولكن)، ومن شدد ﴿ وَلَٰكِنَّ ﴾ [البقرة: ١٠٢] نصب ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ ﴾[(١)]، وكذلك: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ ﴾ [يونس: ٤٤][(٢)] "[(٣)].

فالحيري وجّه القراءة الشاذة في هذه الآية على تخفيف (أنْ) ورفع (النفس) على أنها اسم (أن)، وما بعد (النفس) معطوف عليها.

ثامنًا: توجيه القراءة وردّها بمخالفة القياس النحوي:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾[النساء: ١] حيث قال: "وأما من قرأ بكسر الأرحام[(٤)]، معناه: أسألك بالله وبالرحم أن تعطيني شيئًا. وهو خطأ في العربية؛ لأن الاسم يُعطف على الاسم الظاهر، ولا يُعطف على المكنى إلا في الاضطرار للشعر فلا يُستعمل"[(٥)]. فالحيري ردّ قراءة حمزة لمخالفتها القياس النحوي عنده، وهو عدم جواز عطف الاسم الظاهر على الضمير إلا في ضرورة الشعر. وقد رُدّ عليه بمجيئه في القرآن والشعر والنثر [(٦)]، إضافة إلى كونها قراءة متواترة، لا يجوز ردها.

يتضح من خلال هذه الأمثلة وغيرها أن الحيري كان عالماً بالنحو متمكنًا منه، فتوجيهه القراءة بأربعة أو خمسة أوجه، وشرحه وبيانه في هذا الجانب، لدليل واضح على ما وصل إليه من رسوخ في هذا العلم.

---

(١) سبق عزو القراءات (ص ١٦).
(٢) سبق عزو القراءات (ص ١٦)
(٣) الكفاية في التفسير، (٧٠/٢).
(٤) وهي قراءة حمزة. انظر: تحبير التيسير، ابن الجزري (ص ٣٣٤).
(٥) الكفاية في التفسير (٤٩٥/١).
(٦) انظر هذه الردود في: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (٥٥٤/٣).

المطلب الثاني: التوجيه الصرفي

علم الصرف من علوم اللغة الرئيسة في توجيه القراءات القرآنية، فهو يتعلق بوزن الكلمات واشتقاقها، ويُعتمد عليه في بيان ما يتعلّق ببنية الكلمات من تغيّرات وتحوّلات، والبحث في عِلل هذه التغيّرات ومعانيها وأصولها، وقد اعتنى المفسرون وأهل التوجيه بالنواحي الصرفية في توجيه القراءات؛ ومنهم الحيري، فقد اعتمد كثيرًا على الجوانب الصرفية في توجيه القراءات في تفسيره، ويتجلى توجيهه للقراءات من الناحية الصرفية من خلال الصور الآتية:

أولًا: توجيه القراءات من خلال الظواهر الصوتية: تنوّعت الظواهر الصوتية التي اعتمد عليها الحيري في توجيه القراءات القرآنية، ما بين تحقيق وتسهيل وإدخال وحذف فيما يتعلق بالهمزة، أو إظهار وإدغام، أو روم وإشمام، أو تخفيف وتشديد، وغير ذلك من الظواهر الصوتية المعروفة في لغة العرب.

ومن الأمثلة على ذلك: في قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ﴾ [النساء: ٨١] حيث قال: "قرأ أبو عمرو وحمزة: (بيَّت طائفة) بالإدغام؛ لقرب التاء مع الطاء، والباقون بالإظهار[(١)]؛ لأنهما كلمتان"[(٢)]. فالحيري وجّه حدوث الإدغام لتجانس مخرج التاء مع الطاء، وكونهما يخرجان من مخرج واحد، مما سهّل الإدغام، مع كونه كبيرًا؛ لتحرك الحرفين التاء والطاء بالفتح، ووجّه حدوث الإظهار بالبقاء على الأصل من كونهما كلمتين متحركتين.

ومن أمثلة حدوث الإدغام في كلمة واحدة ما ذكره الحيري عند قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ﴾ [التوبة: ٩٠]، حيث قال: "قوله: ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ﴾ الآية.

(١) انظر: كتاب السبعة، ابن مجاهد (ص ٢٣٥)، معاني القراءات، الأزهري (٣١٣/١).
(٢) الكفاية في التفسير (٥٨٧/١).

قرىء بالتشديد والتخفيف [١]، ومن قرأ بالتشديد فهو في الأصل: المعتذرون، فأُدغمت التاء في الذال وشُدِّد"[٢]. فبيّن الحيري أصل كلمة ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ قبل التشديد، وما حدث فيها من إدغام.

ثانيًا: توجيه القراءات من خلال أبنية الأفعال:

أبنية الأفعال هي: التصاريف والصيغ والأوزان التي تأتي عليها الأفعال لمعانٍ مقصودة محددة [٣].

ومن أمثلة توجيه القراءات من خلال أبنية الأفعال عند الحيري: قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ [الأعراف: ٢٠٢] حيث قال الحيري: "قرئ ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ بفتح الياء والضم[٤]، من قرأ بفتح الياء فهو من المد، وبالضم من الإمداد، وهما لغتان، يقال: مدّ، وأمد، إلا أنه يُستعمل المدد في الشر، والإمداد في الخير"[٥]. فقد وجّه الحيري كلا القراءتين باعتبارهما لغتين؛ فقراءة نافع وأبي جعفر أصلها (أمَدَّ – يُمِدّ)، وقراءة الباقين أصلها من (مَدَّ – يَمُدُّ) بالتشديد، وكِلا الفعلين متعدٍّ، إلّا أنّ الفرق بينهما كامن في الاستعمال، فمَدَّ تُستعمل في السياق القرآني في الشّر على الأغلب، وأمَدَّ يُستعمل على الأغلب في الخير.

---

(١) قرأ يعقوب بإسكان العين وتخفيف الذال (المعْذِرون)، وقرأ الباقون بفتح العين وتشديد الذال ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾. انظر: الغاية في القراءات العشر، ابن مهران (ص١٦٦).

(٢) الكفاية في التفسير (٢٤٧/٣).

(٣) انظر: المعجم المفصل في الصّرف، راجي الأيمة (ص٤٧).

(٤) قرأ نافع وأبو جعفر بضم الياء وكسر الميم، والباقون بفتح الياء وضم الميم. انظر: المصباح الزاهر، الشهرزوري (٣٦٢/٣).

(٥) الكفاية في التفسير (٥٦٩/٢).

ثالثًا: توجيه القراءات من خلال المصادر:

المصادر هي الأصل الذي تؤخذ وتُشتق منه جميع المشتقات، ويدلّ على الحدَث مجرّدًا عن الزمان، وفي علم النحو يعبّر به عن المفعول المطلق، وسمي بالمصدر؛ لأنه موضع صدور الأسماء. ويسمى: الأحداث، وأحداث الأسماء، واسم الحدَث، واسم الحدثان، واسم الفعل، والاسم الفعلي، واسم المعنى(١).

ومن أمثلة توجيه القراءات من خلال المصادر عند الحيري: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] حيث قال: "﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ قرىء بالتنوين، و (دكاء) ممدودًا(٢)، فمن قرأ بالتنوين فهو مصدر دكّ يدكّ دكًّا، ومعناه: ذا دكّ، ومن قرأ بالمد والهمز فهو نعت اسم مضمر فيه؛ لأن الجبل مذكر، ومعناه: جعله أرضًا دكَّاء، أي: لا شيء عليها تشبيهًا بالناقة الدكاء التي لا سنام لها"(٣). فالحيري وجّه قراءة التنوين على المصدرية، ووجّه قراءة المد والهمز بكونها نعتًا لاسم مضمر.

رابعًا: توجيه القراءات من خلال الجمع والإفراد:

ومن أمثلة توجيه القراءات من خلال الجمع والإفراد عند الحيري: قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: ١٢] حيث قال: "﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ فيه قراءتان ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾، (وكتابه)(٤). من قرأ: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ يعني: وصدّقت بالتوراة

---

(١) انظر: المعجم المفصل في الصّرف، راجي الأيمة (ص٣٧٢).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف (دكَّاء) بهمزة مفتوحة بعد الألف وبحذف التنوين، وقرأ الباقون (دكًّا) بحذف الهمزة والمد وبإثبات التنوين. انظر: المبسوط، ابن مهران (ص ٢١٤).

(٣) الكفاية في التفسير (٤٩١/٢).

(٤) قرأ حفص وأبو عمرو ويعقوب (وكُتُبِهِ) بضم الكاف والتاء على الجمع، والباقون (وكِتابِهِ) بكسر الكاف وفتح التاء وألف بعدها على الإفراد. انظر: النشر، ابن الجزري (٣٨٩/٢).

والإنجيل والزبور. ومن قرأ: (وكتابه) على الواحد يعني: وصدّقت بالإنجيل"[١]. فالحيري وجّه قراءة الجمع على إيمان مريم بالتوراة والإنجيل والزبور، كما وجّه قراءة الإفراد على إيمانها بكتاب رسالة ابنها عيسى عليه السلام وهو الإنجيل.

وهكذا نجد اهتمام الحيري بالنواحي الصرفية، والاستفادة منها في توجيه القراءات القرآنية، مما يدل على تضلعه في هذا العلم.

المطلب الثالث: التوجيه الاشتقاقي

الاشتقاق هو: اشتقاق كلمة من أخرى مع تناسب المعنى وتغاير اللفظ[٢]، ويعد الاشتقاق أحد دعائم توجيه القراءات عند أهل التوجيه والتفسير، وقد اعتمد عليه الحيري كثيرًا في توجيه القراءات، ويتجلى هذا الاعتماد في الآتي:

أولًا: توجيه القراءات ببيان الاشتقاق من المصدر:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[الأعراف: ١٧٠]؛ حيث قال: "وقرىء (يمسكون) بالتخفيف والتشديد[٣]، من قرأ بالتخفيف فهو من الإمساك، ومن قرأ بالتشديد فهو من التمسك"[٤]. فالحيري وجّه القراءتين ببيان اشتقاق كل منهما من مصدره، دون بيان الاشتقاق من الفعل، فقراءة التخفيف من الفعل (أمسك)، وقراءة التشديد من الفعل (مسّك).

---

(١) الكفاية في التفسير (٨٤/٩).

(٢) انظر: المفتاح في الصرف، عبد القاهر الجرجاني (ص٦٢)، التعريفات، الشريف الجرجاني (ص٢٧)، الصرف العربي أحكام ومعاني، فاضل السامرائي (ص٦٩)، والموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ص١٩٧).

(٣) قرأ شعبة: (يُمسِكون) بالتخفيف، وقرأ الباقون: ﴿يُمَسِّكُونَ﴾ بالتشديد. انظر: الكشف عن وجوه القراءات، مكي بن أبي طالب (٤٨٢/١).

(٤) الكفاية في التفسير (٥٣٢/٢).

ثانيًا: توجيه القراءات ببيان الاشتقاق من الفعل دون تحديد الفعل لكل قراءة:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٩٣]، حيث قال: "﴿ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾ لا يجيبوكم. وقرىء بالتشديد والتخفيف[١]: أتبع واتّبع"[٢]. فالحيري وجّه القراءتين ببيان اشتقاق كل منهما من الفعل، دون أن يبيّن الفعل الذي يخص قراءة التشديد، والفعل الذي يخص قراءة التخفيف، فقراءة التشديد من الفعل (اتّبع)، وقراءة التخفيف من الفعل (أَتْبَع).

ثالثًا: توجيه القراءات ببيان الاشتقاق من الفعل مع تحديد الفعل لكل قراءة:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال: ١١]، حيث قال: "قرىء: (يَغْشاكم) بفتح الياء، من غشي يغشى، ومن قرأ: ﴿ يُغَشِّيكُمُ ﴾ من غشّى يُغشِّي، ومن قرأ: (يُغْشِي) بالتخفيف [٣] فهو من أغشى يُغْشِي، الأول لازم، وكلاهما متعد"[٤]. فالحيري بيّن اشتقاق كل قراءة من فعلها، مع تحديد كل فعل بالقراءة الخاصة بها، ولم يكتف بذلك، بل بيّن نوع الفعل من حيث اللزوم والتعدي.

---

(١) قرأ نافع (لا يَتْبَعوكم) بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، انظر: العنوان في القراءات السبع، إسماعيل بن خلف السرقسطي (ص٩٨).

(٢) الكفاية في التفسير (٥٦١/٢).

(٣) قرأ نافع وأبو جعفر (يُغْشِيكم) بضم الياء وسكون الغين وكسر الشين مخففة وبعدها ياء ساكنة مدية ونصب النعاسَ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (يَغْشَاكم) بفتح الياء وسكون= =الغين وفتح الشين مخففة وألف بعدها والنعاسُ بالرفع. وقرأ الباقون (يُغَشِّيكم) بضم الياء وفتح الغين وكسر الشين مشددة وياء ساكنة مدية بعدها والنعاس بالنصب. انظر: التيسير، أبو عمرو الداني (ص١١٦)، البدور الزاهرة، عبد الفتاح القاضي (ص١٢٩).

(٤) الكفاية في التفسير (٣٥/٣).

رابعًا: توجيه القراءات ببيان الاشتقاق من الفعل والمصدر:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال: ١٨]، حيث قال: "﴿ مُوهِنُ ﴾ قرىء بالتشديد والتخفيف(١). من قرأ بالتشديد فهو من وَهَّنَ يُوهِّن توهينًا. ومن قرأ بالتخفيف فهو من أَوْهَنَ يُوهِن إيهانًا"(٢).

خامسًا: توجيه القراءات ببيان الاشتقاق دون المعنى:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ﴾ [الحجرات: ١٤]، حيث قال: "من قرأ: (لا يَأْلِتْكُم) من ألت يألت، ومن قرأ: ﴿ لَا يَلِتْكُم ﴾ من لات يلت(٣)"(٤). فالحيري بيّن اشتقاق القراءتين، ولم يبيِّن المعنى على قراءة كل منهما، ولعل ذلك يرجع إلى أن المعنى واحد على كلا القراءتين، وهو النقصان (٥).

سادسًا: توجيه القراءات ببيان الاشتقاق مع بيان المعنى:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾ [التوبة: ٩٠]، حيث قال: "قوله: ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ ﴾ الآية. قرىء بالتشديد والتخفيف(٦)، من قرأ بالتشديد، أي: هم الذين جاءوا بالعذر، ولا عذر لهم.

---

(١) سبق عزو القراءات (ص ٢٤).
(٢) الكفاية في التفسير (٤٧/٣).
(٣) قرأ أبو عمرو البصري: (لا يَأْلِتْكُم)، وقرأ الباقون: (لا يَلِتْكُم). انظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن الباذش (ص٣٧٨).
(٤) الكفاية في التفسير (١٦٦/٨).
(٥) انظر: تفسير الطبري (٣٩٣/٢١).
(٦) قرأ يعقوب بإسكان العين وتخفيف الذال (المعْذِرون)، والباقون بفتح العين وتشديد الذال (المعَذِّرون). انظر: الغاية في القراءات العشر، ابن مهران (ص١٦٦).

ومن قرأ بالتخفيف، فمنهم الذين جاءوا بالعذر، ولهم عذر... ومن قرأ بالتشديد فهو في الأصل: المعتذرون، فأُدغمت التاء في الذال وشُدِّد، ومن قرأ بالتخفيف فهو من أَعْذَرَ يَعْذُر"[١]. فالحيري بيّن اشتقاق كلّ من القراءتين، والمعنى المترتب على هذا الاشتقاق.

المطلب الرابع: التوجيه بالمعنى اللغوي

الهدف من ذكر القراءات في سياق التفسير، هو بيان المعاني المتنوعة غير المتعارضة في هذه القراءات، وهذا مما لا شك فيه إثراء لمجال التفسير، وقد كان الحيري –رحمه الله– يذكر القراءات ويوجّهها ببيان معانيها المتعددة، ولم يأل جهدًا في ذلك، فقد ملأ تفسيره بالمعاني المتعددة التي تحتملها تلك القراءات سواء أكانت متواترة أم شاذة، ويتبين اهتمامه بتوجيه القراءات عن طريق بيان المعنى من خلال الآتي:

أولًا: توجيه القراءات المتواترة ببيان المعنى اللغوي:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُۥاْ﴾ [النساء: ١٣٥] حيث قال: "وقرأ حمزة وابن عامر: (وإن تلووا) [٢] بواوين، من التحريف، يعني: وإن تحرّفوا الشهادة"[٣]. فالحيري وجّه القراءة ببيان معناها اللغوي؛ إذ اللوي في لغة العرب إمالة الشيء، ومنه التحريف[٤].

---

(١) الكفاية في التفسير (٢٤٧/٣).

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة (تلُوا) بضم اللام وواو ساكنة بعدها، والباقون (تلوُوا) بإسكان اللام وبعدها واوان: الأولى مضمومة، والثانية ساكنة. انظر: تحبير التيسير، ابن الجزري (ص٣٤٣). وعلى هذا فقد وهم الحيري عفا الله عنه في نسبة القراءة لغير قارئيها في هذا الموضع.

(٣) الكفاية في التفسير (٦٤١/١).

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٢١٨/٥) مادة (لوي).

ثانيًا: توجيه القراءات الشاذة ببيان المعنى اللغوي:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة: ١٢٨] حيث قال: "﴿ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ فيه قراءتان بضم الفاء ونصبها[١]... فمن قرأ بنصب الفاء، فمعناه: من أشرفكم"[٢].

ثالثًا: توجيه القراءات المتواترة ببيان اتحاد معناها اللغوي:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ﴾[طه: ٦٩] حيث قال: "وقرىء ﴿ تَلْقَفْ ﴾ بسكون اللام[٣]، ومعناه واحد، تأخذ"[٤].

فالحيري وجّه القراءات المتواترة في الآية بأن معناها واحد؛ إذ اللقف مصدر لقفْت الشيء ألقفه لقفًا إذا أخذته[٥].

رابعًا: توجيه القراءات المتواترة والشاذة ببيان اتحاد معناهما اللغوي:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ [طه: ٨٨] حيث قال: "وقرأ علي ابن أبي طالب: (له جؤار) بالجيم والهمزة، الجؤار والخوار واحد، وهما صوت البقر"[٦]. فالحيري ذكر قراءة علي بن أبي طالب ﷺ وهي قراءة شاذة[٧]، وبيّن أن معناها هو نفس معنى القراءة المتواترة، وهو صوت البقر[٨].

---

(١) بضم الفاء قراءة الجمهور، وبنصبها قراءة شاذة. انظر: مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه (ص٥٦).

(٢) الكفاية في التفسير (٢٧٦/٤).

(٣) قرأ ابن ذكوان بفتح اللام وتشديد القاف ورفع الفاء (تَلَقَّفُ)، وقرأ حفص بإسكان اللام وتخفيف القاف وجزم الفاء (تَلْقَفْ)، والباقون بفتح اللام وتشديد القاف وجزم الفاء(تَلَقَّفْ)، وشدد البزي التاء وصلا. انظر: التذكرة، ابن غلبون (٤٢٣/٢).

(٤) الكفاية في التفسير (٣٥٦/٤).

(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب (ص٧٤٤).

(٦) الكفاية في التفسير (٣٦٦/٤).

(٧) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٣٩٢/٤).

(٨) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٤٩٣/١)، مادة (جور).

خامسًا: توجيه القراءات ببيان معنى الحرف:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾[المائدة: ٤٧] حيث قال: "قرأ حمزة: (ولِيحكمَ) بكسر اللام ونصب الميم، وقرأ الباقون بجزم اللام والميم[١]، فبكسر اللام معناه: وآتينا الإنجيل لكي يحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، وبجزم اللام والميم فهو على معنى الأمر، والمراد به الخبر، يعني: أمرهم الله أن يحكموا بما في الإنجيل"[٢]. فالحيري وجّه القراءتين من خلال بيان معنى اللام في القراءتين.

سادسًا: توجيه القراءات ببيان تعدد المعنى:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ [الأنعام: ٢٣] حيث قال: " ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن ﴾ قرىء بالياء والتاء[٣]، فمن قرأ بالياء فله أربعة معان: أحدها: قال ابن مقسم: ثم لم يكن حال فتنتهم. وقيل: معناه: ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا. والمعنى الثالث: ثم لم يكن إنكارهم إلا أن قالوا. والمعنى الرابع: لتقدم الفعل على الاسم"[٤].

وهذه الأمثلة وغيرها توضّح العناية الفائقة عند الحيري في التوجيه المعنوي، وأنه لم يميّز بين القراءات المتواترة والشاذة من حيث توجيه كل قراءة بالمعاني المتعددة التي تحتملها تلك القراءات، وهذا مما يزيد التفسير إثراء.

---

(١) انظر: التيسير في القراءات السبع، الداني (ص٩٩).

(٢) الكفاية في التفسير (٧٤/٢).

(٣) قرأ حمزة والكسائي ويعقوب (لم يكن) بالتذكير، وقرأ الباقون (لم تكن) بالتأنيث. انظر: النشر، ابن الجزري (٢٥٧/٢).

(٤) الكفاية في التفسير (١٨٧/٢).

المطلب الخامس: التوجيه بلغات العرب

أنزل الله القرآن الكريم عربيًا، معظمه بلغة قريش، وضم إلى لغة قريش لغات أخرى من لغات العرب نزل بها القرآن؛ تيسيرًا وتخفيفًا على الأمة، وكثير من اختلاف القراءات وتنوعها راجع إلى اختلاف لغات العرب(١). وقد وجّه أهل التفسير عددًا من القراءات باختلاف اللغات، وجعلوا ذلك أصلًا من أصول التوجيه عندهم، ومن هؤلاء الحيري في تفسيره، حيث اعتمد اختلاف لغات العرب كمورد من موارد التوجيه عنده، ويتجلى اعتماده على هذا المورد من خلال الصور الآتية:

أولًا: التوجيه باختلاف اللغات مع تسميتها:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ ﴾ [التوبة: ١٠٩]، حيث قال: ﴿ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ ﴾ قرىء بالتخفيف والتثقيل(٢)، فالتثقيل لغة أهل الحجاز، والتخفيف لغة تميم"(٣).

ثانيًا: التوجيه باختلاف اللغات مع عدم تسميتها:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ﴾ [الأنعام: ٦٤]؛ حيث قال الحيري: "وقرىء ﴿يُنَجِّيكُم ﴾ [الأنعام: ٦٤] بالتخفيف والتشديد(٤)، وهما لغتان، وبهما جاء القرآن"(٥).

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (ص٣٩).

(٢) أسكن الراء ابن عامر وشعبة وحمزة وخلف، وضمها الباقون. انظر: المبسوط، ابن مهران (ص٢٢٩).

(٣) الكفاية في التفسير (٢٥٩/٣).

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن ذكوان ويعقوب (يُنْجِيكم) بالتخفيف، وقرأ الباقون (يُنَجِّيكم) بالتشديد، انظر: المصباح الزاهر، الشهرزوري (٢٩٧/٣).

(٥) الكفاية في التفسير (٢٤٣/٢). وانظر: الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي (٣٢١/٣).

ثالثًا: توجيه الاختلاف النحوي باختلاف لغات العرب:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ [طه: ٦٣]، حيث قال: "فأما خط المصحف فإنّ بتشديد النون، هذان بالألف، واختلفوا فيه: ... وقال أهل المعاني: وهذا لغة بلحارث ابن كعب، وذلك أنهم يقولون: كُسرت يداه، وركبت علاه، يعني: يديه وعليه"(١). فالحيري وجّه هذه القراءة بجعل (إنّ) حرف توكيد وإعراب اسمها المثنى جرى على لغة بلحارث بن كعب، الذين يجعلون علامة إعراب المثنى الألف في أحوال الإعراب كلها، وهي لغة مشهورة ولها شواهد كثيرة(٢).

رابعًا: توجيه القراءات القرآنية بلغات العرب وبيان ما يُقرأ به وما لا يُقرأ:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾ [النساء: ٣٧] حيث قال: "وقرىء ﴿ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾ بضم الباء وسكون الخاء، و(البَخَل) بنصب الباء والخاء(٣). فيه أربع لغات: بُخُل، وبُخْل، وبَخَل، وبَخْل، قرىء بالحرفين، ولا يُقرأ بالحرفين الآخرين"(٤).

خامسًا: توجيه القراءات القرآنية بلغات العرب مع بيان اتحاد المعنى:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِ ﴾[المائدة: ٤٢] حيث قال: "وقرىء بضم الحاء وسكونها(٥)، وهما لغتان: السُّحْت، والسُّحُت، وهو الاستئصال، يقال: أسحته، وسحته: إذا استأصله"(٦).

---

(١) الكفاية في التفسير (٣٥٣/٤).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٥٣/١٦).
(٣) قرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح الباء والخاء، وقرأ الباقون بضم الباء وسكون الخاء. انظر: تحبير التيسير، ابن الجزري (ص ٣٣٩).
(٤) الكفاية في التفسير (٥٤٩/١).
(٥) قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة وخلف باسكان الحاء، والباقون بضمها. انظر: العنوان في القراءات السبع، إسماعيل ابن خلف السرقسطي (ص٨٧)، المبسوط، ابن مهران (ص ١٨٥).
(٦) الكفاية في التفسير (٦٤/٢).

سادسًا: توجيه القراءات القرآنية بلغات العرب مع بيان اختلاف المعنى:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] حيث قال: "﴿حَرَجًا﴾ قرئ بالفتح والكسر(١). الكسر والفتح هما لغتان، ومعناهما الشك، وقيل: الحَرِج بالكسر: شجرة ملتفة بحيث لا منفذ منها من الضيق، والحَرَج بالفتح، على معنى: أو حرج"(٢). فالحيري بعد أن وجّه القراءتين على أنهما لغتان من لغات العرب، بيّن أن هناك اختلاف بين أهل التفسير والتوجيه في كون معناهما واحدًا أو مختلفًا.

سابعًا: توجيه القراءات القرآنية بلغات العرب مع بيان الأكثر استعمالًا:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ﴾[الأعراف: ٤٤] حيث قال: "﴿قَالُوا۟ نَعَمْ﴾ قرىء بفتح العين وكسره(٣)، وهما لغتان، والأصح والأفشى بفتح العين"(٤). فالحيري بعد أن وجّه القراءتين بكونهما لغتين من لغات العرب، بيّن أن الأكثر استعمالًا ﴿نَعَمْ﴾ بفتح العين، وأن ذلك أصح.

---

(١) قرأ نافع وأبو جعفر وشعبة بكسر الراء، والباقون بفتحها. انظر: النشر، ابن الجزري (٢/٢٦٢).

(٢) الكفاية في التفسير (٢/٣٢١).

(٣) قرأ الكسائي (نَعِم) بكسر العين، وقرأ الباقون بالفتح. انظر: التبصرة، مكي بن أبي طالب (ص٥٠٩).

(٤) الكفاية في التفسير (٢/٣٢٦).

ثامنًا: توجيه القراءات القرآنية بلغات العرب مع بيان أصل كل قراءة على كل لغة:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ﴾ [الأعراف: ١١١] حيث قال: "قرىء ﴿أَرۡجِهۡ﴾ بالهمز وغيره[١]، وهما لغتان عند أكثر القراء، رجىء يرجىء، وأرجى يرجي"[٢]. فالحيري بيّن أصل كل قراءة على كل لغة من اللغات التي وجّه بها القراءتين.

المطلب السادس: التوجيه البلاغي

اهتم كثير من المفسرين وأهل التوجيه بالناحية البلاغية في توجيه القراءات القرآنية؛ بغية إبراز الأوجه المحتملة للمعاني التي يجري عليها التغاير القرائي واختلافه، وقد كان للحيري –رحمه الله– عناية بهذا الجانب، وتتجلى عنايته به من خلال الآتي:

أولًا: توجيه القراءات من خلال أسلوب الالتفات:

الالتفات هو: الانتقال من أسلوب إلى أسلوب أو من مقام إلى مقام، كأن ينتقل من الغيبة إلى الخطاب أو من الماضي إلى المضارع[٣].

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]؛ حيث قال: "قرىء بالتاء والياء[٤]، فالتاء على الخطاب، والياء على الخبر"[٥].

---

(١) انظر: جامع البيان في القراءات السبع، الداني (١١٠٠/٣)، المبسوط، ابن مهران (ص ٢١٢).

(٢) الكفاية في التفسير (٤٦٠/٢).

(٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٨٥/٢).

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف بالتاء على الخطاب، وقرأ الباقون بالياء. انظر: إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر، أبو العز القلانسي (ص٣٦١).

(٥) الكفاية في التفسير (٢٨٧/٣).

فالحيري اقتصر على أن اختلاف القراءتين يدور بين الخطاب والخبر، وذلك هو الالتفات في البلاغة، فالقراءة بالياء فيه انتقال من أسلوب الخطاب إلى أسلوب الغيبة.

ثانيًا: توجيه القراءات من خلال أسلوب الفصل والوصل:

الوصل: عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه(١).

والوصل والفصل من أدق مسائل علم البلاغة، بل جعلوه حدًا للبلاغة، وما ذاك إلا لغموضه ودقِة مسلكه، وأن أحدًا لا يكمل فيه إلا كمل في سائر فنونها(٢).

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[الأعراف: ٤٣] حيث قال: "﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ قرىء بسقوط الواو وثبوتها(٣)؛ وذلك لاختلاف المصاحف؛ لأن في بعضها بالواو، وفي بعضها بغير الواو. فثبوت الواو يدل على أنهم اعترفوا بالنعمتين والشكر عليهما، وسقوط الواو يدل على الاعتراف بالنعمة الثانية دون الأولى؛ لأنه معطوف عليه بالواو، ووقع الشكر عليهما. والثاني وقع الشكر على الأولى، ثم ابتدأ ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ وقع الاعتراف على الثانية"(٤). فالحيري لم يقتصر على بيان القراءات في الآية، بل بيّن السر البلاغي من وراء إثبات الواو وحذفها، وهذا ما يُسمّى بالفصل والوصل، والسر البلاغي الذي أوضحه الحيري هو أن قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ والجملة التي قبلها ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ كلاهما من مقول أهل الجنة، أما الفصل بالواو فإنها

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٩٧/٣).
(٢) انظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني (ص٢٢٢).
(٣) قرأ ابن عامر بحذف الواو، وقرأ الباقون بإثباتها. انظر: التيسير، الداني (ص١١٠).
(٤) الكفاية في التفسير (٤٢٤/٢).

مشعرة بتعداد نعم الله سبحانه عليهم، وأما القراءة بالوصل فهي تفيد أن الجملة من كلامهم، كما تُشعر بأن الجملة الثانية مفسرة للأولى(١).

ثالثًا: توجيه القراءات من خلال دلالة التغاير الصرفي:

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٠]؛ حيث قال: "وقرىء (قتّلوا) بالتشديد والتخفيف(٢)، فبالتخفيف على أصل الفعل، ومن قرأ بالتشديد على التكرير والتكثير"(٣). فقد بيّن الحيري أن قراءة التشديد تفيد التكرير والتكثير، أي أن حدوث القتل منهم لأولادهم كان متكررًا وبكثرة، وفيه دلالة على البشاعة والفظاعة.

رابعًا: توجيه القراءات من خلال أسلوب الحذف والذكر:

قد يدل التغاير الإعرابي أو الصرفي في القراءات على أن هناك محذوفًا في الكلام يجوز تقديره، جريًا على أصله في العربية(٤).

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٠] حيث قال: "وقرىء ﴿ شُرَكَآءَ ﴾ بالجمع والوحدان(٥) ... ومن قرأ بالجمع أراد به ذريتهما من اليهود والنصارى وغيرهما، معناه: جعل أولادهما لله شركاء، فحذف الأولاد

---

(١) انظر: الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، الجمل (ص٤٠٥).

(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر (قتَّلوا) بالتشديد، والباقون (قَتَلوا) بالتخفيف. انظر: حجة القراءات، ابن زنجلة (ص٢٧٥).

(٣) الكفاية في التفسير (٣٤١/٢).

(٤) انظر: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د. أحمد سعد (ص٢٥٥).

(٥) قرأ نافع وأبو جعفر وشعبة بكسر الشين وإسكان الراء وتنوين الكاف من غير همز (شِرْكًا)، والباقون بضم الشين وفتح الراء ومد الكاف وهمزة مفتوحة بعد المد وحذف التنوين چ ﮊ ﮋ ﮌ چ ، النشر، ابن الجزري (٢٧٣/٢).

وأقام آدم وحواء مقام الأولاد، ...والدليل على هذا قوله: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ قال بالجمع، ولم يقل: عما يشركان"[١]. فقد بيّن الحيري أن قراءة ﴿ شُرَكَآءَ ﴾ أفادت أن هناك حذفًا في الآية، وأن المراد بها أولاد آدم –عليه السلام– ذكورًا وإناثًا من الطوائف المشركة، وأقيم آدم وحواء مقامهما في الذكر، فإن قيل: إنه لم يجرِ لهما ذكر فيكنى عنهما؟ أجيب: إن فيما جرى من الكلام دلالة عليهم، فجاز لذلك إضمارهم كأشياء تُضمر لدلالة الأحوال عليها، وإن لم يجرِ لها في اللفظ ذكر[٢]، واستدل على ذلك بأن آخر الآية يدل عليهم حيث قال: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ ولم يقل: عما يشركان.

**

(١) الكفاية في التفسير (٥٦٠/٢).
(٢) انظر: الحجة للقراء السبعة، الفارسي (١١١/٤)، تفسير القرطبي (٣٣٩/٧).

المبحث الثالث

الأصول الأخرى في توجيه القراءات عند الحيري

المطلب الأول: التوجيه بالسياق القرآني

السياق القرآني هو: بيان النص القرآني من خلال النظر إلى ترابط الآيات، واتصالها بما قبلها وما بعدها(١).

ويعد السياق القرآني من أهم أصول توجيه القراءات وأكثرها شيوعًا عند المفسرين؛ إذ اهتموا بتوجيه القراءات استنادًا إلى سياقاتها اللفظية والمعنوية، وكان الحيري من المبرّزين في هذا الجانب، فقد اهتم بتوجيه القراءات من خلال السياق، ويظهر ذلك في تفسيره من خلال الصور الآتية:

أولًا: توجيه القراءات من خلال مراعاة السياق اللفظي:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ ﴾ [يوسف: ١٢] حيث قال: "﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ ﴾ قرىء بالياء فيهما، والنون فيهما(٢) ... وتصديق من قرأ بالنون فلقوله تعالى: ﴿ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ ﴾ [يوسف: ١٧]"(٣). فالحيري وجّه قراءة النون في قوله: (نرتع ونلعب) بموافقتها للسياق اللفظي من حيث اتفاق الألفاظ في إخبار إخوة يوسف عن أنفسهم بالجمع، وذلك في قوله: ﴿ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ ﴾.

---

(١) انظر: السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، د. سعد الشهراني (ص ٣٣).

(٢) قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب: ﴿يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾، وقرأ الباقون بالنون (نرتع ونلعب). انظر: تحبير التيسير، ابن الجزري (ص ٤١٢).

(٣) الكفاية في التفسير (٣/٣٩٥).

ثانيًا: توجيه القراءات من خلال مراعاة السباق: وذلك يكون من خلال النظر إلى الألفاظ السابقة على محل التوجيه.

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ [الأحقاف: ١٦]، حيث قال: "وقرىء (يُتقبّل، ويُتجاوز) على المجهول، وقرىء أيضًا: (ننتقبل ونتجاوز) بالنون في كليهما[١]... ومن قرأ بالنون في كليهما لقوله فيما قبل: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ [الأحقاف: ١٥]، ولم يقل: (وصى)" [٢]. فالحيري راعى في توجيه القراءة بالنون في قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ السياق السابق على هذه الآية، في قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾، وبذلك يتفق الإخبار عن الله بأسلوب التكلم.

ثالثًا: توجيه القراءات من خلال مراعاة اللحاق:

وذلك يكون من خلال النظر إلى الألفاظ اللاحقة على محل التوجيه.

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٦]، حيث قال: "وقرأ ابن عامر: (ولا تشرك)[٣] بالتاء، جزمًا على النهي، أي: ولا تشرك يا محمد في حكمه أحدًا، واستدلوا بما بعده ﴿ وَٱتْلُ ﴾ [الكهف: ٢٧]"[٤]. فالحيري نظر في توجيه القراءة بالتاء والجزم إلى ما بعد هذه الآية وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ ﴾.

---

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف بالنون، وقرأ الباقون بالياء فيهما. انظر: المصباح الزاهر، الشهرزوري (١٤٣/٤).

(٢) الكفاية في التفسير (٢٣/٨).

(٣) قرأ ابن عامر (تُشرِكْ) بالتاء وجزم الكاف، وقرأ الباقون (يُشرِكُ) بالياء وضم الكاف، انظر: النشر، ابن الجزري (٣١٠/٢).

(٤) الكفاية في التفسير (١٩٥/٤).

رابعًا: توجيه القراءات من خلال تناسب الأساليب في السياق:

ويكون توجيه القراءات فيه عن طريق مناسبتها للسياق الواقعة فيه، من حيث مجيئها موافقة لأسلوبه من خطاب وغيبة وغير ذلك.

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] حيث قال: "و﴿ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ قرىء بالألف وغير الألف[١]، فمن قرأ بالألف فعلى الجمع، وحجته ﴿ مِن ظُهُورِهِمْ ﴾، ومن قرأ بغير الألف فعلى الواحد، وهو اسم الجنس، واسم الجنس يقوم مقام الواحد والجمع، وحجته ﴿ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ﴾[الأعراف: ١٧٣]، ولم يقل: (ذريات)" [٢].

فالحيري وجّه القراءتين من خلال مراعاة تناسب الأساليب، فقراءة الجمع راعى فيها سياق الجمع في قوله: ﴿ مِن ظُهُورِهِمْ ﴾، وقراءة الإفراد راعى فيها سياق الإفراد في قوله: ﴿ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ﴾.

خامسًا: توجيه القراءات من خلال بيان مناسبات الآيات في السياق:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٣]؛ حيث قال: "قرأ نافع وابن عامر وابن كثير: (يقول الذين آمنوا) بغير واو[٣]، معناه: أن الله لما بيّن حال المنافقين، بيّن على أثره حال المؤمنين فقال: (يقول الذين آمنوا)، يعني: قال الذين آمنوا بعضهم لبعض"[٤]. فالحيري راعى في توجيه القراءة بغير واو ما قبلها من

---

(١) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: (ذرياتهم) بالجمع، وقرأ الباقون: ﴿ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ بالإفراد، انظر: المبسوط، ابن مهران (ص ٢١٦).

(٢) الكفاية في التفسير (٥٣٩/٢).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر (يقول الذين آمنوا) بغير واو، وقرأ الباقون (ويقول) بإثبات الواو، انظر: تحبير التيسير، ابن الجزري (ص ٣٤٧).

(٤) الكفاية في التفسير (٨٥/٢).

آيات، فالآيات التي قبلها في بيان حال المنافقين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١ – ٥٢]، وهذه الآية في بيان حال المؤمنين.

سادسًا: استعمال التوجيه بالسياق في ترجيح قراءة:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا ﴾ [الحديد: ١٨] حيث قال: "من قرأ بتشديد الصاد فهو من الصَّدَقَة وهو الإعطاء. ومن قرأ بتخفيف الصاد فهو من الصِّدْق[(١)]، وهو أصح؛ لأن الصدقة في قوله: ﴿ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا ﴾ [الحديد: ١٨] أي: وتصدّقوا لله قرضًا حسنًا بقلب صادق ونية خالصة"[(٢)]. فالحيري رجّح قراءة التخفيف بناء على السياق؛ حيث إن الصدقة وردت بعد ذلك في نفس الآية في قوله: ﴿ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا ﴾، والتأسيس مقدم على التأكيد.

سابعًا: توجيه القراءة وردّها بناء على السياق:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾ [الصافات: ١٣٠]، حيث قال: "ومن قرأ: (آل ياسين) [(٣)] أراد النبي ﷺ، وهو حسن في التأويل، إلا أنه بعيد عن

---

(١) قرأ ابن كثير وشعبة بالتخفيف في (المصَدقين والمصَدقات)، وقرأ الباقون بالتشديد ﴿ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ﴾. انظر: الكشف عن وجوه القراءات، مكي بن أبي طالب (٢/٢١١).

(٢) الكفاية في التفسير (٨/٣٠٠).

(٣) قرأ نافع وابن عامر ويعقوب (آلِ ياسين) بفتح الهمزة ومدها، وبعدها لام مكسورة مفصولة من ياسين، وقرأ الباقون (إلْياسين) بكسر الهمزة وبعدها لام ساكنة فتكون كلها كلمة واحدة، انظر: النشر، ابن الجزري (٢/٣٦٠).

نظم الآية"[١]. فالحيري رد المعنى المترتب على القراءة؛ لأنه مخالف لسياق القصة؛ إذ لم يجر للنبي ﷺ ذكر قبل ذلك، مع تحسينه للمعنى تأويلًا[٢].

المطلب الثاني: التوجيه الفقهي

اهتم المفسرون وأهل التوجيه بالناحية الفقهية في توجيه القراءات؛ حيث قد تترتب أحكام فقهية بناء على اختلاف القراءاة، وقد كان نصيب الحيري رحمه الله من توجيه القراءات من النواحي الفقهية قليلًا، مقارنةً بالأصول الأخرى التي اعتمد عليها في توجيه القراءات.

ومن الأمثلة التي ساقها الحيري في هذا المقام: قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ ﴾ [المائدة: ٦] حيث قال: "وقرئ ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ ﴾ بنصب اللام وكسر اللام[٣]. فأما من قرأ بالنصب فقد جعله نصبًا لوقوع الفعل عليه، وهو الغسل، يعني: واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين، والكسر لوجود حرف الخفض وهو الباء، فكأنه قال: وامسحوا برؤوسكم وبأرجلكم، يعني: إذا كان عليه خفان، وقد ثبت ذلك بالسنة"[٤]. فالحيري جمع بين القراءتين ووجّههما توجيهًا فقهيًا، فجعل قراءة النصب لغسل الأرجل، وقراءة الجر للمسح على الخفين.

---

(١) الكفاية في التفسير (٤١٧/٦).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٤١/٤).

(٣) قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب بنصب اللام، والباقون بكسرها. انظر: المصباح الزاهر (٢٦١/٣).

(٤) الكفاية في التفسير (٢٥/٢).

ومن الأمثلة –أيضًا–: قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ ﴾ [المائدة: ٨٩] حيث قال: "قرىء (عاقدتم)، و(عقدتم) بتشديد القاف وتخفيفها[١]. من قرأ (عاقدتم) بالألف فهو من المعاقدة، والمعاقدة تجري بين اثنين، وهو أن يحلف الرجل لصاحبه بشيء. ومن قرأ بالتشديد فهو على التوكيد، وبالتخفيف يكون مرة واحدة، والتشديد تجري في التكرار والإعادة"[٢]. يلاحظ في هذا المثال أن الحيري ذكر ثلاث قراءات متواترة، وقد ترتب على اختلاف هذه القراءات الاختلاف في مسألة عقد الأيمان أيكون عقدها بالحلف مرة واحدة، ويكون الحنث فيها للكفارة؟ أم لا يكون عقدها إلا بتكرار الحلف ولا كفارة إلا مع التكرار؟، وهذه مسألة فقهية عالجها العلماء وبيّنوا الخلاف فيها في مصنفاتهم[٣].

**

(١) قرأ ابن ذكوان (عاقَدتم) بإثبات ألف بعد العين وتخفيف القاف، وقرأ وحمزة والكسائي وخلف (عَقَدتم) بحذف الألف وتخفيف القاف، والباقون (عَقَّدتم) بالحذف وتشديد القاف. انظر: حجة القراءات، ابن زنجلة (ص٢٣٤).

(٢) الكفاية في التفسير (١٢٠/٢).

(٣) انظر: المبسوط، السرخسي (١١١/٦)، الاستذكار، ابن عبدالبر (٨٤/١٥).

الخاتمـة

- الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:
- فبعد إنجاز هذا البحث يحسن تدوين النتائج الآتية:
- يعد تفسير الحيري (الكفاية) من المصادر الثرية في توجيه القراءات؛ إذ حوى الكثير من القراءات المتواترة والشاذة، وللمؤلف عناية فائقة في توجيهها وبيان معانيها.
- لم يلتزم الحيري طريقة معينة في نسبة القراءات إلى أصحابها، وتنوعت طريقته في ذلك، ووهم في بعض المواضع في نسبة القراءات.
- وقع الحيري فيما وقع فيه بعض المفسرين واللغويين من رد بعض القراءات المتواترة أو الترجيح بينها، ولعل ذلك يعود إلى عدم استقرار أمر القراءات في وقته.
- تنوعت موارد توجيه القراءات عند الحيري ما بين القرآن والقراءات والرسم والسنة والأثر والسياق والنحو والصرف والاشتقاق ولغات العرب والشعر، وتفنن في أساليب الإفادة من هذه الموارد.
- برز في توجيه القراءات عند الحيري اهتمامه البالغ في التوجيه اللغوي: لغةً ونحوًا وصرفًا.
- أقل موارد التوجيه عند الحيري هي التوجيه بالسنة والرسم والشعر.
- تميّز توجيه الحيري للقراءات بالاختصار في العبارة وتركيزها، إلا في مواضع قليلة أطال النفس فيها.

أما التوصيات؛ فنظرًا لتميز تفسير الحيري في القراءات وتوجيهها، فأوصي بالدراسات الآتية:

- الدراسة التحليلية لمواضع توجيه القراءات المتواترة والشاذة عند الحيري.
- الدراسة الوصفية الشاملة لمنهج الحيري في عرض القراءات وتوجيهها.
- الدراسة التحليلية النقدية للمواضع التي ردّ فيها الحيري القراءات المتواترة، أو رجّح فيها بين القراءات المتواترة.

**

المصادر والمراجع

- أبحاث في العربية الفصحى، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار – الأردن، ط١، ١٤٢٦هـ.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٣، ١٤٢٧هـ.
- إتقان البرهان في علوم القرآن، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان– الأردن، ط ١، ١٩٩٧م.
- الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم , ط/ مكتبة التراث – القاهرة , بدون إشارة للطبعة والتاريخ .
- إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر، أبو العز محمد بن الحسين القلانسي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- إعراب القراءات السبع وعللها، الحسين بن أحمد بن خالويه، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ.
- إعراب القرآن، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط/ دار العلم للملايين – بيروت، ط/ الثالثة عشر ١٩٩٨م
- الإقناع في القراءات السبع، أحمد بن علي بن أحمد ابن الباذش، مكتبة الصحابة – القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، ط/ دار الفكر – بيروت، ط/ أولى ١٩٩٨م

- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني، دار الجيل – بيروت، ط٣، ١٤٢٣هـ.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي، دار الفكر – بيروت، ط٣، ١٤١٠هـ.
- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، ط/ دار الغد العربي – القاهرة، ط/ أولى ١٤١١هـ.
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٢هـ.
- البرهان في علوم القرآن للإمام محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، ط/ دار المعرفة – بيروت ١٣٩١هـ.
- تاريخ بغداد للإمام أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، بدون إشارة للطبعة والتاريخ.
- التبصرة في القراءات السبع، مكي بن أبي طالب، الدار السلفية – الهند، ط١، ١٤٠٢هـ.
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد ابن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للطبع – تونس، ط١، ١٩٨٤م.
- تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ أولى ١٤١٩هـ.
- التذكرة في القراءات الثمان، طاهر بن عبد المنعم بن غلبون، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

- التعريفات، محمد بن علي الجرجاني، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د. أحمد سعد، مكتبة الآداب – القاهرة.
- توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغةً وتفسيراً وإعراباً، د. عبد العزيز الحربي، جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٧هـ.
- التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- الجامع لأحكام القرآن للإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ط/ دار الغد العربي – القاهرة، ط/ أولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
- حجة القراءات، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: الأستاذ سعيد الأفغاني، ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/ الخامسة ١٩٩٧م .
- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، دار الشروق – بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.
- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ أولى ٢٠٠١م.
- خزانة الأدب وغاية الأرب، علي بن عبدالله الحموي، ط/ دار الهلال – بيروت، ط/ أولى ١٩٨٧م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤١٨هـ.

- الدر النثير والعذب النمير في شرح مشكلات وحل مقفلات اشتمل عليها كتاب التيسير، عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد المالقي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، مطبعة المدني – القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ.
- سنن ابن ماجة للإمام محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، ط/ المكتبة العلمية – بيروت، بدون إشارة للطبعة والتاريخ.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، مطبوع ضمن (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة)، بإشراف الشيخ: صالح آل الشيخ، دار السلام– بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٢١هـ.
- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط/ مكتبة الصفا – القاهرة، ط/ أولى ١٤٢٤هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ.
- الصرف العربي أحكام ومعاني، فاضل السامرائي، بدون معلومات.
- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، والدكتور محمود محمد الطناحي، ط/ دار هجر، ط/ الثانية ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
- طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، ط/ دار عالم الكتب – بيروت، ط/ أولى ١٤٠٧هـ.
- طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي، ط/ مكتبة وهبة – القاهرة، ط/ أولى ١٣٩٦هـ.

- طبقات المفسرين، محمد بن أحمد الداودي، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ أولى ١٤٢٢هـ.
- العنوان في القراءات السبع، إسماعيل بن خلف السرقسطي، عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، مكتبة ابن تيمية – القاهرة.
- الغاية في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مهران، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- غيث النفع في القراءات السبع، علي بن محمد بن سالم الصفاقسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.
- فتح الوصيد في شرح القصيد، علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي، مكتبة الرشد – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.
- فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر – القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب، مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق، ط١، ١٣٩٤هـ.
- الكفاية في التفسير، إسماعيل بن أحمد الحيري، مركز تفسير – الرياض، ط ١، ١٤٤٠هـ.
- المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مِهْران، مجمع اللغة العربية – دمشق، ط١، ١٩٨١م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ أولى ١٩٩٨م .

- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، الحسين بن أحمد بن خالويه، مكتبة المتنبي – القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ.
- المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/ الأولى ١٤١٨هـ.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة – المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤١٧هـ.
- معاني القراءات، محمد بن أحمد بن الأزهري، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود –
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق : إحسان عباس , ط/ دار الغرب الإسلامي بيروت , ط/ أولى ١٩٩٣م .
- المعجم المفصل في الصّرف، راجي الأيمة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- المفتاح في الصرف، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ. المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ.
- المنتخب من سياق تاريخ نيسابور، عبد الغافر الفارسي، ط/ الحوزة العلمية – إيران , بدون إشارة للطبعة والتاريخ .

- الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، محمد أحمد عبد العزيز الجمل، بدون معلومات.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان – أحمد بن محمد بن أبي بكر – ط/ دار الثقافة – بيروت، بدون إشارة للطبعة والتاريخ .

* * *